سوريتنا

«عندما يقرر العبد أن لا يبقى عبدا فإن قيوده تسقط»
غاندي

صفحتنا على فيس بوك:
www.facebook.com/souriatna
souriatna@gmail.com souriatna.wordpress.com

سوريتنا | السنة الأولى | العدد (22) | 19 / 2 /2012 أسبوعية تصدر عن شباب سوري حر

وفي الشام شام لكل زمان. ظلمتك حين ظلمت نزوحي
إلى طلقة القلب، يومين يومين، يا صاحبي
أمن حقي، الآن، بعد الرجوع من الحب أن أسالك
لماذا اتكأت على خنجر كي تراني؟ لماذا رفعت سفوحي
لتسقط خيلي علي؟ تمنيت.. أني تمنيت أن أحملك
إلى أول الشعر، أو آخر الأرض، ما أجملك!
وما أجمل الشام، ما أجمل الشام، لولا جروحي،
فضع نصف قلبك في نصف قلبي، يا صاحبي
لنصنع قلباً صحيحاً فسيحاً لها، لي، ولك
ففي الشام شام، إذا شئت، في الشام مرآة روحي.

محمود درويش | ديوان "ورد أقل"

في تشييع شهداء المزة في 18 / 2 / 2012

الزبداني تتحول إلى منطقة منكوبة وتفتقد المياه والخبز والمواد الغذائية منذ أيام

تعيش الزبداني ومحيطها أوضاعا حياتية وإنسانية قاسية جدا، بفعل اقتحام المدينة بنحو 25 ألف جندي مع مئات الآليات والمدرعات، وتحويلها إلى منطقة منكوبة ومحتلة بالكامل، وهو ما يحول دون تمكين الناس من دفن الشهداء ومعالجة الجرحى الذين يسقطون بالعشرات.

وفي موازاة الوضع الميداني الذي يزداد صعوبة ساعة بعد ساعة، أعلن عضو الأمانة العامة للمجلس الوطني السوري كمال اللبواني، أن «الوضع الإنساني في مدينة الزبداني وفي مضايا وجوارهما، صعب للغاية». وأوضح لـ«الشرق الأوسط»، أن «المنطقة محرومة منذ أيام من الكهرباء والمياه والهاتف، وتفتقد إلى الخبز بعد أن قصف الجيش النظامي الفرن الآلي الكبير وعطله بالكامل، كما أحرق المخابز الصغيرة، والآن ينتظر الأهالي المحاصرون بعض الخبز الذي يهرب إليهم بصعوبة من بلودان».

وكشف اللبواني عن أن «عناصر الأمن والشبيحة الذين دخلوا الزبداني في الساعات الماضية أقدموا على تكسير المستشفى وتحطيم عيادات الأطباء بكاملها، وإحراق عشرات المنازل وسرقة المحلات التي تبيع المواد الغذائية لحرمان الناس من هذه المواد، وهو ما دفع بالناشطين إلى إخفاء الجرحى ببعض الأقبية والحفر خوفا من تصفيتهم، أما جثث الشهداء فوضعت داخل برادات الخضار والفواكه، التي يجرى تشغيلها على مولدات صغيرة، بانتظار أن تسمح الأوضاع بتشييعهم ودفنهم»، مشيرا إلى أن «المدارس والمؤسسات التعليمية مغلقة منذ أكثر من ثلاثة أشهر»، لافتا إلى أن «أعمال القصف (أمس) لم تقتصر على الزبداني ومضايا والجوار، إنما طالت منطقة بلودان التي سقط فيها عدد من الشهداء والجرحى، لأن بلودان تشكل متنفسا إنسانيا للزبداني»، موضحا أن «هذه المآسي الإنسانية تترافق مع حملات المداهمات والاعتقالات والتصفيات التي لم تتوقف، والتي تهدف إلى كسر إرادة أ بناء المنطقة واستسلامهم، وهذا ما لن يحصل».

وردا على سؤال حول كيفية تمكن القوات النظامية من دخول الزبداني التي كانت عصية عليها لفترة طويلة، أجاب «كان الشباب (الثوار) ملازمين لمداخل المدينة الأربعة ويمنعون أي اختراق لها، عندها لجأ الشبيحة إلى إحضار جرافات ضخمة جدا، تمكنوا عبرها من إزالة منازل بالكامل، وأحضروا مختصين بالمتفجرات عمدوا إلى تفكيك العبوات التي كانت منصوبة في بعض النقاط، وقد صدهم المقاتلون وتمكنوا من تدمير ما بين 18 و23 دبابة بالكامل، وبعد هذا الدخول انسحب المقاتلون تكتيكيا إلى أطراف المنطقة، تحضيرا لعمليات سينفذونها عندما تحين الفرصة المواتية لهم».

أضاف «إن ما نشهده اليوم من قوات (الرئيس السوري بشار) الأسد، ليس حربا تشن بوجه ثوار ومعارضين، إنما هو تدمير ممنهج للدولة السورية، وهو يحرص على تدمير الجيش السوري، بقدر حرصه وإصراره على إبادة الشعب السوري، عبر زج الجيش في مواجهة مع الشعب، فالأسد يسعى إلى إنهاك وتدمير الجيش السوري حتى لا يرتد هذا الجيش عليه في القريب من الأيام، لأن ذلك يمكنه من إنشاء الدولة العلوية في الساحل السوري تكون محمية من روسيا وإيران، والظاهر أن مدعي المقاومة والممانعة يطبقون فعليا المشروع الصهيوني بإنشاء دويلات طائفية في المنطقة».

سـوريا وكذبـة تنظـيم القاعـدة

■ طارق الحميد

محزن حال السوريين فهم بين نارين: نار نظام طاغ وقاتل، ونار من يحاول النيل من ثورتهم تحت أي عذر، على الرغم من كل ما قدموه من تضحية طوال الأحد عشر شهرا الماضية، وآخر مسلسلات الاضطهاد تلك التي يعانيها السوريون، وتعانيها ثورتهم، هو محاولة الاستدلال بحديث أيمن الظواهري عن سوريا للقول إن «القاعدة» تدعم الثورة السورية.

فما إن صرح زعيم «القاعدة» الظواهري داعيا إلى ما سماه بالجهاد في سوريا حتى هب البعض ليقول إن ما يحدث في سوريا هو بدعم من «القاعدة»، أو أنه دليل على وجودها هناك، وهذا تبسيط، إن لم يكن رغبة في التواطؤ ضد السوريين العزل أنفسهم! وقد يقول قائل: كيف؟ الإجابة بسيطة، فتصريحات الظواهري عن سوريا ليست الأولى من نوعها، فقد سبق أن دعا للثورة في سوريا قبل أشهر كثيرة، وقبل أن تصل الثورة إلى ذروتها الحقيقية، كما سبق للظواهري أن أشاد بالربيع العربي، بل قال ما هو أشد مما قاله عن سوريا حين دعم الثورة المصرية، والتونسية، وكذلك الثورة الليبية، حيث حذر الليبيين من أطماع حلف الناتو، كما طالب الظواهري الجزائريين بالثورة على نظامهم الحاكم. فلماذا لم يقلق أحد حينها من تلك التصريحات، بينما نجد اليوم من يحاول القول إن الثورة السورية مدعومة من «القاعدة»؟

فالظواهري لم يُشد بالربيع العربي فحسب، بل قال إنه يشكل «ضربة قاصمة» للولايات المتحدة الأميركية، وقال إن الربيع العربي «حرر الآلاف من سجناء الحركات الإسلامية من السجون، بعد أن كانوا قد سجنوا بأوامر مباشرة من أميركا». وعلى الرغم من كل ذلك فإننا لم نسمع من يقول، سواء كانوا دولا أو أفرادا، بأن الربيع العربي يأتي بدعم «القاعدة»! بل على العكس لم يأبه أحد وقتها لكلام الظواهري، حيث هب الغرب مطالبا مبارك بالتنحي، وسعى الغرب نفسه لإنجاح المبادرة الخليجية تجاه اليمن، وضمان رحيل صالح، على الرغم من أن «القاعدة» كانت دائما إحدى أوراق اللعبة بيد صالح، مثله مثل نظام بشار الأسد!

ولذا فإن التخويف من «القاعدة» في سوريا ما هو إلا محاولة جديدة للهروب من استحقاقات حماية المدنيين العزل، ومحاولة لتبرير جرائم طاغية دمشق، الذي يمثل خطرا حقيقيا على وحدة سوريا، وشعبها، أكثر من خطر «القاعدة» نفسها. فالنظام الأسدي هو من سعى لتكريس الطائفية في سوريا ليخيف الأقليات، ويجبرها على الوقوف مع نظامه، مثلما سبق لنفس النظام، وبمساعدة من إيران، الاستفادة من «القاعدة» طوال الأعوام العشرة الماضية سواء في العراق، أو خلافه. وهذا الأمر ليس بسر، بل هو أمر معروف لدى كل الأجهزة الاستخباراتية المعنية في المنطقة، وحتى الغرب.

وعليه، فإن ما يجب أن ندركه اليوم هو أن التأخر في رحيل طاغية دمشق، وإطالة منظر الدم، والقتل، والرعب، في سوريا هو الذي من شأنه تصعيد، وتبرير، العنف والقتل، وتفجير الأوضاع، وليس الحديث عن «القاعدة» كما يحاول البعض القول اليوم! هذا ما يجب أن يدركه الجميع، وخصوصا الحريصين على وحدة سوريا، وسلامة شعبها الأعزل.

نشطاء إيرانيون يتضامنون مع المعارضين السوريين

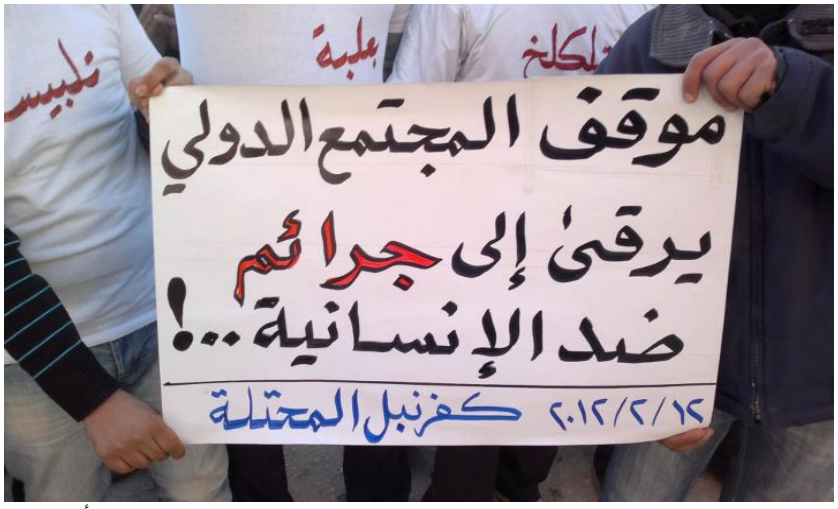

بعث 160 من النشطاء السياسيين والمدنيين الإيرانيين، الجمعة، رسالة إلى برهان غليون رئيس المجلس الوطني السوري والقوى المعارضة السورية، عبروا من خلالها عن تقديرهم لموقف المعارضة السورية التضامني مع الحركة الاحتجاجية الإيرانية المطالبة بإطلاق سراح زعيمي المعارضة مير حسين موسوي ومهدي كروبي اللذين يخضعان للإقامة الجبرية.

وجاء في جانب من هذه الرسالة: «بعد التحية، لقد تلقينا بإعتزاز رسالتكم الغراء المليئة بالمودة والباعثة للأمل، والتي تؤكد مرة أخرى الصلات العميقة التي تربط بين أحرار العالم جميعاً بعضهم بعضاً، إننا لمسرورون لأن المناضلين السوريين الحكماء يدركون جيداً أن هناك فارقاً بين الشعب الإيراني والنظام الجائر الحاكم في إيران، وعلى ضوء هذا الإدراك ترون أنفسكم إلى جانب المناضلين الإيرانيين الصامدين المضطهدين».

وأضاف البيان: «وإنه لمن دواعي فخرنا واعتزازنا وتقديرنا مشاهدتكم وأنتم تناضلون من أجل الحرية والديمقراطية ضد نظام بشار الأسد الوحشي، الذي يحظى بحماية نظام الجمهورية الإسلامية، وتعبرون عن تعاطفكم معنا في ذكرى سجن رموز الحركة الخضراء. ونود أن نبلغكم أن آمال هؤلاء الرموز، ونحن وإياكم بتحقق الحرية في بلداننا قد تحققت فعلاً في مصر وتونس واليمن وليس تحققها في سوريا وإيران ببعيد».

وعبر الموقعون في الختام عن تمنياتهم «للشعب السوري الشجاع والصامد انتصاراً قريباً على الظلم والاستبداد الحاكم في سوريا».

وتعليقاً على هذه الرسالة أكد كل من الدكتور علي نوري زاده مدير مركز الدراسات الإيرانية والعربية، والدكتور شهريار آهي الناشط السياسي الإيراني من الموقعين على هذه الرسالة، أن «الشعب الإيراني يرفض كل أشكال تدخلات نظام ولاية الفقيه في الشؤون الداخلية لسوريا ولبنان والعراق وفلسطين وغيرها».

وقال نوري زاده: «الشعب الإيراني ينتظر اليوم الذي يضع فيه مع الشعوب العربية المتحررة، الحجر الأساس لعلاقات قائمة على أسس الاحترام المتبادل وعدم التدخل والتفاهم والتعاون بعيداً عن الطائفية والمذهبية والتمييز العرقي على أرضية الأخوة والصداقة الحقيقية».

واعتبر نوري زاده مصير النظامين في إيران وسوريا مرتبط ببعضهما بعضاً، مشدداً على حتمية المصير المشترك لـ«نضال الشعبين السوري والإيراني»، متوقعاً أن «سقوط أي من النظامين سيؤدي إلى حليفه الآخر».

وأشار نوري زاده إلى إطلاق نظام البعث السوري «شعارات قومية عربية» وصفها بالكاذبة و«تعامله الدعائي مع جبهة الممانعة في الوقت الذي لم يطلق طلقة واحدة ضد إسرائيل في الجولان»، حسب تعبيره.

و علق الناشط السياسي الإيراني الدكتور شهريار آهي على سؤال حول تأثير الأحداث في سوريا على الوضع الداخلي الإيراني قائلاً : «النظام يرى في أرض الشام أفضل ممر له لينطلق من خلاله إلى سائر مناطق العالم الإسلامي من خلال تحويل دمشق إلى غرفة عمليات على هذا الصعيد».

وأكد آهي أن «النظامين يتقاسمان المصير المشترك»، مضيفاً: «لو خسرت الجمهورية الإسلامية سوريا لن تتضرر سياستها الخارجية فحسب بل سيتلقى الحرس الثوري ضربة نفسية مميتة وتصبح ديمومة النظام تحت طائلة الشك».

طائرات أمريكية بلا طيار تحلّق فوق سوريا

في التداعيات الدولية للأزمة السورية، نقلت قناة "إن بي سي" الأمريكية عن مسؤولي دفاع أميركيين أن عدداً من الطائرات الأميركية من دون طيار تحلق فوق سوريا لجمع المعلومات ورصد هجمات الجيش السوري.

وقال المسؤولون في مجال الدفاع طلبوا التكتم على هوياتهم ان عدداً ليس بقليل من الطائرات العسكرية والاستخبارية الأميركية تحلق فوق سوريا لرصد الهجمات التي يشنها الجيش السوري على قوات المعارضة والمدنيين الأبرياء.

ونقلت القناة عن مسؤولين في البنتاغون قولهم إن هذه المراقبة ليست من باب التحضير لتدخل عسكري أمريكي في سوريا، بل إن إدارة أوباما تأمل في جمع الأدلة فوق البصرية وقراءة تحركات الحكومة السورية والاتصالات العسكرية لاستخدامها لاحقا في الدفع باتجاه استجابة دولية واسعة النطاق ضد النظام في دمشق.

يذكر أن الولايات المتحدة كانت قد كررت عدة مرات أنها لا تعتزم التدخل العسكري حاليا في سوريا على الرغم من حثها الرئيس بشار الأسد على التنحي وفرض عقوبات.

وكشف المسؤولون عن مناقشات بين البيت الأبيض ووزارتي الخارجية والدفاع حول البعثات الإنسانية الممكنة إلى سوريا.

وبرزت خلال النقاشات مخاوف من عدم التمكن من إرسال هذه البعثات من دون تعريض المشاركين فيها للخطر، ما سيحتم على الولايات المتحدة الانجرار إلى دور عسكري في سوريا.

أوجاع وطن ..

دعوة مفتوحة للبكاء

■ بانة بيضون

كلما سألني أحد عن رأيي في كل ما يجري في سوريا ومصر، قلت إن موقفي السياسي الوحيد هو البكاء. لست بكاءة بطبعي، حتى إنني طوال حياتي تساءلت عن فائدة ترجى من البكاء باستثناء أنه ينقي المقلتين.

أنا التي لم أبك في كل الجنازات التي حضرتها، أجدني أحرض نفسي والآخرين على البكاء. دعونا نبكي عنهم، أولئك الذين لا وقت لهم لرثاء أحبائهم، فعليهم أن يدفنوهم سريعاً كي يذهبوا إلى موتهم أو لحماية ما بقي من الأحياء. بمَ يفيدهم بكاؤنا ستقولون لي؟ لن يفيدهم في شيء، فبكاؤنا هو تماما كصمتنا، كعجزنا أو تخاذلنا. لكن دعونا نبكي كي نتذكر صمتنا، كي نتذكر تخاذلنا، كي نتذكر عجزنا. دعونا نبكي كي نتذكر أننا أحياء وأنهم أموات. دعونا نبكي كي لا ننسى أو نتناسى أن هذه ليست صوراً بل جثث وأن الذي يسيل منها ليس مادة ملونة بل دم حي كالذي يجري في عروقنا الآن.

أفتح التلفاز كل يوم وأسمع الأرقام، خمسة في...، عشرة في....، مئتان في... فماذا يعني هذا؟ ربما الرقم ثلاثة كان يفكر في شراء طابة جديدة قبل أن يُقتل. ربما الرقم مئة كان في انتظار موعد غرامي غداً لن يحدث أبداً. ربما الرقم ألف لم يكن يفكر في شيء. ماذا نفعل؟ هل نحضر آلة حاسبة ونجمع الأرقام؟ لماذا لا نرقّم الأحياء منذ الآن؟ أحضر آلتك الحاسبة واجمع واحسم، وقبل أن تخرج من المنزل لا تنس أن ترقم نفسك استباقاً لما يمكن أن يحدث.

دعونا نبكي كي لا نصدّق أنهم مجرد أرقام الآن. إذا صدّقنا ذلك فسنكون تماماً كآلة القتل النظامية التي لا ترى في الشعب سوى معادلة رقمية تحذف منها ما تشاء. دعونا نبكي كي لا نصدّق إننا نحن أيضا لسنا سوى مجرد أرقام أخرى بائسة. لأننا متى صدّقنا ذلك زدنا موتاً على الأموات. دعونا نبكي عليهم وعلينا، وعنهم وعنا. دعونا نبكي نيابةً عن كل حياة جديدة تولد، ويطبعون على جبينها رقمها وسعرها وعنوانها.

دعونا نبكي لأنه لم يعد لدينا من دموع نذرفها على الأموات. دعونا نبكي لأننا لبنانيون أيضا. دعونا نبكي لأننا لم نزل نصلّي كل ليلة للآلات التي وشمتنا بأرقام مذهبية وعددية وطائفية. دعونا نبكي لأننا سننتخبهم مجدداً بطبيعة الحال، فالأرقام لا تفكر. دعونا نبكي لأن الأطفال يُقتلون دفاعاً عن الأوطان وباسم الأوطان.

دعونا نبكي لأننا ولدنا في أوطان كهذه وسنموت فيها وسننجب أطفالا لها لتقتلهم بكل محبة. دعونا نبكي لأننا نحب هذه الأوطان على رغم كل شيء، ونحلم بها وطناً لنا. ربما بكاؤنا يكون كالمطر يغسل عن جبيننا الأرقام التي طبعوها ويرطب جلودنا الميتة.

أحدهم صرخ قبل أن يُقتل: «أنا لست رقماً». لكنه مات قبل أن يتسنى له أن يبكي.

لنبك عنه نحن بقية الأرقام التي تنتظر من يحصدها. دعونا نبكي على أولئك الذين لم يجدوا سبيلاً للحياة إلا عبر الموت. إنهم يموتون من أجلنا جميعاً، هو موتهم يوقظ الحياة داخلنا ويمسح عنا صفتنا الرقمية.

ملحق النهار 18 / 2 / 2012

الأكراد السوريون في الأصل والتاريخ والسياسة... نهاية خرافة الأخوة الأعداء.. وعقد وطني جامع وموحد

■ ياسر مرزوق

نقلاً عن حمد درويش سكرتير الحزب التقدمي الكردي في سوريا "نطالب بأن تثبت حقوقنا الوطنية في الدستور وأن يوافق عليها إخواننا العرب في سوريا".

في نهاية الشهر الماضي أنهت القوى الكردية السورية المعارضة مشاوراتها خلال مؤتمر استمر ثلاثة أيام في أربيل عاصمة إقليم كردستان العراق، لتوحيد الصف الكردي من الثورة السورية، وكان عدد المشاركين في المؤتمر قرابة مئتي ناشط يمثلون المجلس الوطني الكردي الذي يتألف من إحدى عشر تياراً كردياً معارضاً كما شهد المؤتمر حضوراً لافتاً لشخصيات سورية معارضة أصرت على المشاركة لتثبيت عضد البيت الكردي واختيار ممثلين لهم في الداخل والخارج ليصبح لهم صدىً سياسي على المستوى الدولي.

يتجه اليوم الأكراد وعلى اختلافاتهم السياسية لتوحيد الصف مع اعتقادهم أن الحراك في سوريا يمنحهم غطاءً لم يتوفر لهم طوال مسيرتهم ضد النظام السوري الذي يقولون أنه صادر حتى مواطنتهم.

وكما دأبنا في ملفات متفرقة على استعراض القوى الفاعلة في المجتمع السوري نبحث اليوم في موضوع الأكراد السوريين، إلا أنه وقبل البدء في عرض لواقع الأكراد أتوجه بالاعتذار للأكراد عن رؤىً مخالفة تظهر في هذا الملف مردها الوحيد ندرة المراجع مع ادعائي أني لم أتدخر جهداً للوصول للروايات والحقائق والروايات المجمع عليها فقط.

أصل الأكراد:

يتألف الأكراد من طبقتين من الشعوب بحسب ما ذكر المؤرخ الكردي محمد أمين زكي في كتابه "خلاصة تاريخ الكرد وكردستان" فالطبقة الأولى التي كانت تسكن كردستان منذ فجر التاريخ وأطلق عليها المؤرخ شعوب جبال زغروس وهي شعوب "بولو، كوتي، كورتي، جوتي، جودي، كاساي، سوباري، خالدي، ميتاني، هوري، فايري"، وهي الأصل القديم جداً للشعب الكردي أما الطبقة الثانية فهي الشعوب الهندوأوروبية التي هاجرت إلى كردستان في القرن العاشر قبل الميلاد واستوطنت مع شعوبها الأصلية وهم الميديين والكاردوخيين وامتزجت مع شعوبها ليشكلوا الأمة الكردية.

وقد يكون هناك إجماع بين المستشرقين والمؤرخين والجغرافيين على اعتبار المنطقة الجبلية الواقعة في شمال الشرق الأوسط بمحاذاة جبال زغروس وجبال طوروس المنطقة التي سكن فيها الأكراد منذ القدم ويطلق الأكراد تسمية كردستان على هذه المنطقة التي هي عبارة عن أجزاء من شمال العراق وشمال غرب إيران وشمال شرق سوريا وجنوب شرق تركيا ويتواجد الأكراد بالإضافة إلى هذه المناطق بأعداد قليلة في جنوب غربي أرمينيا وبعض مناطق أذربيجان ولبنان وفلسطين، ويعتبر الأكراد إحدى أكبر القوميات التي لا تملك وطناً أو كياناً سياسياً موحداً معترفاً به عالمياً أو ممثلاً في الأمم المتحدة.

إن العزلة الجبلية والافتقار للمراكز الحضارية على عكس سهول ما بين النهرين وهضاب إيران والأناضول وسوريا التي كانت طبيعتها المفتوحة تسمح دائماً بتكوين مراكز حضارية وسياسية كبرى هو السبب لانعدام إمكانية وجود مراكز حضارية كردية مما أعاق دائماً قيام أية وحدة سياسية أو ثقافية أو لغوية كردية أي قيام دولة جامعة وشاملة للناطقين باللغات الكردية، ومن المعلوم أن الموطن الأصلي والحقيقي للأقوام الكردية وكما ذكرنا سابقاً سلسلة الجبال الفاصلة بين العراق وإيران والمتصلة بالقفقاس، إن الأقوام الكردية هي بحق جماعات جبلية وهذا هو سر توحدها حول هذا الاسم كردو والذي يعني باللغة السومرية سكان الجبال، لكن هذه الجبال وإن خلقت نوعاً من التشابه الثقافي والتقاليدي والشعوري بين هذه الجماعات المختلفة إلا أنها أيضاً شكلت مانعاً كبيراً أمام إمكانية توحدها بشعب واحد ولغة واحدة ودولة واحدة، مما يبرر أن هذه الجماعات رغم كل تشابهاتها الثقافية إلا أنها طيلة التاريخ لم تنجح مرة واحدة في أن تتوحد وأن تكون دولة مركزية جامعة بل في أقصى الحالات شكلت إمارات محلية متنافسة وتابعة للقوى المحيطة.

أما العامل الثاني فإنه يتمثل بكون الجبال الكردية مغلقة وممراتها ضيقة ومحدودة لم تسمح بمرور التجار والغزاة والمغامرين واختلاطهم واستقرارهم وهذا ما منع من تشكل أي مركز حضاري تاريخي معروف في المناطق الكردية إلا أن هذا لا ينفي أبداً الروح الإبداعية والإسهام الحضاري للأكراد كأفراد إذ بقي الأكراد ينحدرون بهجرات جماعية وفردية نحو سهول ما بين النهرين ليشكلوا جزءاً حيوياً من التكوين العرقي للسومريين والأكاديين والآراميين العرب.

يميل الكتاب والمثقفون الأكراد إلى إضفاء صفة طوباوية نشاركهم بها جزئياً عن موضوع عدم تمكن الكرد تاريخياً من تشكيل دولة جامعة مركزية تقول بأن الشعب الكردي أكثر حرية (آزادي) من الإنضواء تحت أي سلطة أو تنظيم.

إن قياس حضارة شعب أو أثنية لا يقوم بشكل أساسي على قدرتهم على إنشاء دولة فالعرب في منطقة نجد والحجاز لم يفلحوا بإنجاز دولة قبل ظهور الإسلام وكذا الحال بالنسبة إلى قبائل شمالي أوروبا قبل ظهور المسيحية وانتشارها والقائمة تطول كالطوارق في شمال أفريقيا وعدد كبير من الشعوب والحضارات في افريقيا وأواسط آسيا.

تجدر الإشارة إلى أننا لا نرى مبرراً للمحاولات العبثية لدى المتعصبين من أصحاب الاتجاه القومي الكردي بخصوص تاريخ الأكراد إذ تراهم يصرون على انتحال تواريخ الشعوب المجاورة كالحضارة الميدية الإيرانية والعيلامية الأحوازية بل حتى الحضارة الآشورية العراقية إذ لا بد من القول بأنه ليس لشعب واحد في الكرة الأرضية أن يدعي بامتلاك التاريخ والحضارات السومرية أو الميدية أو الميتانية أو الفارسية إلا أن دعاة كردستان الكبرى يحاولون إدخال كل الحضارات القائمة في المنطقة التي يحتسبونها ضمن إمبراطوريتهم الكردية المفترضة وبالتالي فإن تاريخها وحضاراتها القديمة لا بد أن يتم تكريدها.

يبقى أن نؤكد الحقيقة التالية إننا لا نستهين أبداً بدور الأكراد في صنع حضارات المنطقة ليس كأكراد بل كمواطنين من أبناء شعوب المنطقة فالسلالة الكاشية التي قادت بابل حوالي أربع قرون والتي من المعروف أن أصلها من جبال زاغروس أي أسلاف الأكراد لم يحول حكامها بابل إلى كردية بل تبنوا الحضارة البابلية ديناً ولغة وثقافة، وكذا الحال بالنسبة إلى دور صلاح الدين الأيوبي ودولته الأيوبية، إن على النخب الكردية أن تتخلى عن التمايز القومي وافتعال تاريخ حضاري مصطنع لكردستان الكبرى بل اعتبار أكراد كل بلد منتمين إلى تاريخ وحضارة البلد نفسه.

ديانة الأكراد:

يعتنق الأكراد الديانة الإسلامية بغالبيتهم لعدد من العوامل لعل أهمها بعد الأكراد عن مركزي انتشار كل من الديانتين اليهودية والمسيحية

إضافةً إلى أنه خلال انتشار المسيحية لم تفلح الدعوات التبشيرية في الوصول إلى جبال الأكراد بسبب انتشار الأزيدية الطاغي والتي كانت تشكل نظاماً روحياً متكاملاً، وقد دخل الأكراد الإسلام في عهد الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب الذي اراد إيصال الدعوى الإسلامية إلى ما وراء الجبال فأرسل عدة حملات عسكرية باءت بالفشل بسبب دفاع الأكراد المستميت وبسالتهم فاستعاض عن التدخل العسكري بإرسال الشيوخ والإرساليات التي نجحت مهمتها بإدخال الأكراد إلى الإسلام بدون قوة.

ويرجع وجود بعض الأكراد يهود أو مسيحيين إلى هجرة الأكراد إلى المناطق ذات الأغلبية اليهودية أو المسيحية، وبسبب انقسام الأكراد بين الامبراطوريتين العثمانية ذات المذهب السني والامبراطورية الفارسية ذات المذهب الشيعي، أيضاً انقسم الأكراد إلى سنة وشيعة وبهذا يكونون متوزعين على أعداد قليلة من اليهود والمسيحيين ونسبة 15٪ من الشيعة وأغلبية سنية إضافة إلى احتفاظ بعضهم بديانتهم الأصلية الأزيدية.

اللغة الكردية:

إن الدارس لأحوال الأكراد يكتشف أن ما يسمى باللهجات الكردية هي بالحقيقة لغات لأن الفوارق بينها ترقى لمستوى الفوارق بين اللغات المختلفة جميعها تعود إلى المجموعة الهندوأوروبية والتي تضم اللغات السلافية واللاتينية والهندية والجرمانية.

هناك أربع لغات كردية مختلفة يكاد التقارب بينها يشبه التقارب بين العربية والسريانية وهي البهدنانية (الكرمانجية) الزازانية والخانقينية والسورانية وتعتبر اللغتان الأكبر السورانية التي تكتب بالحرف العربي والبهدنانية التي تكتب بالحرف اللاتيني.

الواقع السياسي للأكراد السوريين:

كما ذكرنا سابقاً فإن الكرد من المكونات الأساسية للنسيج المجتمعي والتاريخي السوري شاركوا في بناء دولة سوريا وتراوحت مشاركتهم بين صناعة القرار إذ تبوأوا مناصب عليا في رئاسة الجمهورية إلى رئاسة الحكومة وقيادة الثورات والعمل في موقع المقاومة مع الجماهير، ومع تعاظم شعور الأكراد بالتهميش من قبل السلطات والأحزاب ولا سيما الحزب الشيوعي "والذي كان عماده من الأكراد الذي انتسبوا بكثافة في الأربعينيات للحزب الشيوعي الذي ترأسه خالد بكداش الكردي الدمشقي" والأحزاب القومية العربية في أواسط الخمسينيات شكلوا حزباً خاصاً بهم هو الحزب الديمقراطي الكردي، ولهم الآن عدداً لا بأس به من الأحزاب وقد ساهمت بعض هذه الأحزاب مع قوى عربية معارضة في تأسيس ما يسمى "إعلان دمشق" إثر الحراك النخبوي في مرحلة ربيع دمشق، كما ساهم الأكراد في الحراك الشعبي السوري الذي انطلق في 15 آذار 2012 بوصفهم مواطنين سوريين أكراداً.

إن القارئ لتاريخ الثورة السورية ضد الاستعمار الفرنسي لا بد له من الوقوف عند أهم أعلامها "ابراهيم هنانو" و"يوسف العظمة" كرديي الأصل ومع الاستقلال والتجربة الديمقراطية في سوريا عاش الأكراد وكغيرهم من السوريين مفهوم المواطنة بأزهى صوره، ولم تتضح في سوريا معالم مشكلة قومية كردية إلا بفعل تعاقب سلطات غير ديمقراطية استمدت مشروعيتها من إيديولوجيا مشبعة بالتعصب القومي، لا مكان في دنياها للتنوع والاختلاف أو احترام حقوق الإنسان ومصالح القوميات الأخرى، فمع تصاعد التيار القومي والوحدة مع مصر عام 1958 والتي كان أسوأ شروطها حل الأحزاب السياسية ظهرت المشكلة ورفض الحزب الديمقراطي الكردي حل نفسه ونما النزوع القومي لدى الأكراد بسبب رفع الوحدة شعارات عروبية رأى الأكراد أنهم مقصون عنها لكونهم ليسوا عرباً ولن يكونوا، وكرد فعل طبيعي عن المشاعر القومية العُربية انتعشت المشاعر القومية الكردية بالتزامن مع تواتر الحراك الكردي الخارجي الأمر الذي عزز الاندفاعات الشوفينية من الكرد وضدهم وشجع غلاة التطرف القومي على ابتكار أساليب قسرية لتمييز الأكراد وسلبهم حقوقهم كمواطنين وتغييب دورهم كأقلية قومية في التكوين الاجتماعي السوري.

إن أول إجراء تمييزي عانى الأكراد منه حتى عام 2011 هو مشروع الإحصاء الاستثنائي لعام 1962 الذي حرم أكثر من سبعين ألف كردي من الجنسية السورية ومن يومها عرف المجتمع السوري ظاهرة جديدة اسمها المكتومون وهم المجردون من الجنسية الذي فقدوا حق المساواة مع غيرهم من المواطنين في الهوية والتملك والتعليم والتقاضي والعمل والصحة.

ثم جاء مشروع الحزام العربي مطلع السبعينيات هادفاً إلى تفريغ الشريط الحدودي بين سوريا وتركيا في محافظة الحسكة أو الجزيرة السورية بعمق عشرة إلى خمسة عشر كيلومتراً من سكانه الأكراد وتوطين أسر عربية بدلاً عنهم لقطع أواصل الارتباط الجغرافي بينهم وبين امتدادهم القومي خارج سوريا.

واغتنمت السلطات فرصة بناء سد الفرات ومشروع إعادة توزيع الأراضي الزراعية كي تستولي على الأراضي الكردية لإقامة مزارع نموذجية مزودة بالمياه والمدارس والكهرباء وتمليكها لفلاحين عرب غمرت مياه السد قراهم.

إن العبث بالواقع الديموغرافي لشمال شرق سوريا فاقم المشكلة الكردية باضطراد فنزوح الأكراد القسري وانتقالهم إلى مدن كالحسكة والدير أدى إلى ظهور حساسية عالية من الناحية القومية في هذه المناطق وقد رافق ما سبق سياسة ممنهجة تهدف إلى طمس الهوية الكردية وصهر الكرد كأفراد في بوتقة القومية العربية تجلت في قمع الحركة السياسية الكردية واعتقال نشطائها وتغيير الأسماء التاريخية لبعض القرى والبلدات والمواقع واستبدالها بأسماء عربية وحرمان الأكراد من تعليم لغتهم الخاصة.

رغم هذا الإقصاء الممنهج وإذا استثنينا بعض الأصوات المتطرفة من هنا وهناك نرى أنه من العدل القول أن تطور الحس القومي لأكراد سوريا لم يكن يوماً على حساب ولائهم لوطنهم السوري، فالحركة السياسية الكردية والتي قوامها أكثر من عشرة أحزاب هي تفرعات لجذر واحد هو الحزب الديمقراطي الكردي * تتفق جميعها على شعارات تؤكد على الانتماء السوري وتدعو إلى تمتين أواصر الأخوة العربية الكردية والحريات العامة والديمقراطية.

كما أن وضوح المسار الوطني للحركة الكردية السورية ليس فقط طابع شعاراتها أو تطور ملحوظ لعلاقاتها مع الحركة الديمقراطية وإنما أيضاً قراءتها النقدية لتجربة السلطة الكردية شمال العراق والتي عجزت موضوعياً وذاتياً عن خلق حالة استقطاب حول المشروع الكردستاني وفشلت في بناء نموذج ناجح أو مثل يحتذى فأفسدتها أساليب الاستبداد والارتهان للسياسات الخارجية وصراعات تقاسم الحصص والنفوذ بين البرزاني والطالباني.

مع اندلاع الثورة السورية في 15 آذار من العام الماضي فسحت الحركة الاحتجاجية المجال أمام الكرد ليكونوا من صناع سوريا الجديدة وذلك من خلال ثقافة تبنت شعار "واحد واحد واحد الشعب السوري واحد"، وقد أظهر الأكراد أن الشأن الكردي هو شأن ديمقراطي بمعناه الحيوي والفعال لا مسألة قومية جافة وخشنة.

إن من هشاشة الوعي السياسي أن نعتقد أن الكرد سوف يكونون خارج إطار التغيير أو يكونون من دعاة التدخل الخارجي في سوريا، أو الانفصال، فقد آن الأوان لتفهم الحالة الكردية من دون مواقف مسبقة تطفو على السطح كلما أراد الكرد المطالبة بحقوقهم ومن دون رميهم بتهمة الانفصال أو الإضرار باللحمة الوطنية أو غيرها، وحان الوقت لكي يقر الجميع بأن الخوف من الانفصال كان وهماً لم يعد مفيداً نشره.

إن تلكؤ الأكراد كأحزاب وهيئات وليس كأفراد في الانضمام إلى الحركة الاحتجاجية في سوريا تتحمل قسماً كبيراً من مسؤوليته المعارضة السورية فمع عقد سلسلة من الاجتماعات المعارضة في تركيا ودخول الأخيرة كلاعب أساسي في الحدث السوري بتعويل من جماعة الإخوان المسلمين على حزب العدالة والتنمية الحاكم في أنقره لإعادتهم إلى الملعب السياسي السوري، ما أزعج الأكراد الذين ما زالت جراحهم تنزف على الأيدي التركية، إضافة إلى علاقة الكرد بالسياسة من جهة اليسار تاريخياً مما يجعلهم غير واثقين بجدوى الحديث عن التدخل الخارجي لصالحهم، لأنه ولو حدث فلن يكون عاملاً مساعداً على بناء دولة الشراكة بقدر ما سيعمل بإطار المصالح وقد توج هذا الموقف برفض الكرد المشاركة في مؤتمر أنطاليا.

كما أن المعارضة السورية العلمانية وإن كانت الأقرب للأكراد فإنها ما زالت تعمل ضمن إطار إيديولوجي تقليدي لا يستجيب للتطورات بسهولة فالنخبة المعارضة لم تستطع أن تتحرر من تهمة رغبة انفصال الأكراد عن سوريا، وقوبلت مطالبات الأكراد بشيء من الحذر والريبة من المعارضة والنخبة المثقفة.

مع تمادي النظام في غيه وعنفه انخرط الأكراد في قضية التغيير مع باقي السوريين متمسكين بالهوية السورية ومناضلين جنباً إلى جنب مع من حمل لواء التغيير والحرية ومع تشكل المجلس الوطني السوري شارك الأكراد بنسبة واقعية مقتنعين بأن النضال الديمقراطي يعني بداهة في أحد وجوهه نضالاً من أجل مساواة جميع القوميات في نظر المجتمع والقانون، وهو في الحالة الكردية تثبيت الحقوق المشروعة لهذا الشعب كحقه في المواطنة وحقوقه الثقافية والسياسية وحقه المتساوي في إدارة السلطة والدولة.

إن المعاناة العربية الكردية واحدة وتختصر أسبابها كلمة واحدة هي الديمقراطية كمعبر لا غنى عنه كي نواجه جميعاً كافة المعضلات القومية والإنسانية ونتصدى للتحديات والأخطار الماثلة أمامنا في زمن لا مكان فيه إلا للشعوب المتكاتفة المتحدة.

أن تكون قومياً حقاً وأن تكون وطنياً حقاً يعني أن تكون ديمقراطياً حقاً.

إحدى عشر حزباً كردياً محظوراً كلها علمانية وأكثرها تأثيراً حزب يكيتي والحزب الديمقراطي الكردي في سوريا بارتي وحزب يزيدي الكردي والاتحاد الديمقراطي القريب من حزب العمال الكردي.

لحظة تحول في سوريا.. «اللّه يستر»

■ ميشيل كيلو

يتصرف النظام السوري وكأنه ينفذ جدولا زمنيا قرره أحد ما له. إنه يفعل هذا للمرة الأولى منذ نشبت الأزمة الضارية التي تواجهها سوريا، التي حولها إلى مناسبة للعصف العنيف، البالغ العنف، بالشعب والدولة.

ويتصرف الروس، وكأن الغرب لا يعادي النظام في دمشق وحسب، بل ويوشك أن يشن هجوما عاما لاقتحام موسكو، التي تصدر صرخات غضب وتحد تبز في عنفها وصرامتها تلك التي تصدر عن حليفها في دمشق، المعروف بكثرة ما يصدر عنه من زمجرة ضد مختلف أطياف وفئات شعبه، وبأناته وطول باله تجاه غير هؤلاء من أعدائه الذين هم خارج حدوده، ربما لأنهم يستطيعون بلوغ واحتلال عاصمته في أي وقت يريدون.

بينما ينتقل الغرب وأنصاره في تركيا والخليج إلى العمل من خارج منظمات الشرعية الدولية، ويؤسسون منظمات جديدة سيصير كل ما قد تفعله من خارج القانون الدولي شرعيا لمجرد أنه يصدر عنها، بعد أن تفرجا بحيدة مفعمة بالاستمتاع على العنف الذي تفرضه السلطة على السوريين المسالمين، واكتفى موقفهما بإطلاق تصريحات محرضة وإصدار إعلانات مهيجة لا تسمن ولا تغني، والأهم من هذا وذاك: لا تخيف النظام الدمشقي، الذي نقل خلال فترة قصيرة جدا سياسته تجاه شعبه من الحل الأمني إلى الحل الحربي، ونشره فوق الأرض السورية من أقصاها إلى أدناها، كأن بحوزته بطاقة دولية خضراء تبيح له فعل كل ما يخالف الدستور السوري والشرعية الدولية.

لكن الغرب، وقد بان ما يفرضه بدوره على الصراع الداخلي السوري من أبعاد دولية، وظهر إسهامه في حشر نضال الشعب السوري من أجل الحرية والدولة الديموقراطية في صراع خارجي بين الكبار، لا علاقة لهذا الشعب ولنضاله به ولا سلطة له عليه، وليست له من جانبه أية علاقة على الإطلاق بمطالبة السوريين بحقوقهم، وبنزولهم إلى الشارع، يبدو وكأنه شرع يصعد مواقفه، التي لخصها سفير أميركا في دمشق بتقديم مساعدات إنسانية إلى المدن السورية المنكوبة، وتكثيف علاقات أميركا مع المعارضة، في حين أعلن الرئيس الفرنسي نيقولا ساركوزي أن بلاده ستقيم جمعية أو ناديا أو هيئة باسم «أصدقاء سوريا»، ستعمل من خارج مجلس الأمن المعطل روسيا وصينيا، وستنال تأييد دول غربية وخليجية /عربية مختلفة، وألمح أميركيون لا أسماء لهم إلى أن جميع الخيارات مطروحة فوق الطاولة أو تحتها - لا فرق -، وسربوا شائعات تتحدث عن دراسة احتمال القيام بضربات عسكرية ضد النظام السوري، دون أن يخبرنا أحد منهم إن كان هذا سيحدث قبل أم بعد القضاء على آلاف كثيرة أخرى من بنات وأبناء وأطفال وشيوخ ونساء وشباب ورجال سوريا في حمص ودرعا وتل كلخ وإدلب ودير الزور... الخ.

أذكر في هذا السياق أنه سبق لي أن حذرت قبل أسابيع قليلة في مقالة نشرتها «السفير» من خطة سيطبقها النظام، لم تكن رؤية ملامحها بحاجة إلى موهبة خاصة، لأنها كانت تتظاهر بجلاء في أفق التطورات والسياسات السلطوية، تستند إلى جانبين: توسيع العنف الداخلي إلى حدود غير مسبوقة وتاليا غير مقيدة بأي اعتبار، وما أسميته «أقلمة» الصراع الداخلي بجر أطراف وقوى إقليمية إليه، ونشره على الصعيد الإقليمي، وخاصة منه مناطق معينة من لبنان وبعض مناطق الخليج، بعد أن كان قد أُجج من جديد قبل ستة أشهر نيران حرب حزب العمال الكردستاني ضد تركيا. وقد زعمت آنذاك أن هدف التصعيد الداخلي والإقليمي سيكون تخويف الخارج من التدخل في سوريا، وإرغامه على إبقاء تدابيره وخطواته متخلفة عن التطور الميداني للصراع، بما يجعله عاجزا عن مجاراة القوى التي يزجها هو وحلفاؤه فيه، وردع الدول عن الدخول إلى صراع يدور في بلاد تتخطى أبعاده قواها وعلاقاتها إلى الإقليم الشرق أوسطي بأكمله، لن يكون الدخول إليه مسألة محدودة في الزمان والمكان، أو مقتصرا على من يخوضون غماره منذ أحد عشر شهرا .

على الجملة، برزت في الفترة بعد استخدام حق النقض الروسي في مجلس الأمن عناصر ثلاثة هي التالية:

1 - رجحان الطابع الدولي للصراع على طابعه الداخلي والمحلي وحتى الإقليمي، وتعينه من الآن فصاعدا بهذا الرجحان. وكنت قد قلت وغيري قبل أشهر عديدة : إن الحل الأمني الذي تبناه النظام يضع أي حل سياسي خارج أيدي الأطراف السورية المنخرطة في الصراع، ويضع الصراع نفسه تحت رحمة الخارج وبين يديه، حتى في حال توافق السوريون على حل فيما بينهم. وها هو التصعيد عقب فيتو روسيا وزيارة وزير خارجيتها إلى دمشق بصحبة رئيس مخابراتها يؤكد أن الحل الأمني الداخلي سينضوي من الآن فصاعدا في الصراع الدولي الدائر على سوريا وفيها، وأن الهجوم العسكري / الحربي العام على مناطق سورية كثيرة صار جزءا من الجهد الروسي أيضا، وسيندرج بصورة متزايدة في الصراع الأميركي / الروسي، الذي سيشهد تصعيدا ميدانيا متبادلا لا حد له .

2 - إن تدابير الغرب والعرب، من إقامة هيئة أو منظمة لأصدقاء سوريا، إلى رفع القضية السورية إلى الأمم المتحدة وتحريك محكمة الجنايات الدولية ضد المسؤولين السوريين، ليست حتى الآن غير محاولة متأخرة للحاق بالتصعيد الروسي / السوري، الذي يضفي طابعا إقليميا متعاظما على الصراع السوري الداخلي، ويرجح أن ينقله إلى جوار سوريا، حيث سيكون خطيرا على كيانات المنطقة وأمنها واستقرارها جميعها قدر ما هو خطير على الكيان السوري ذاته، وقد يجر إلى ميدان الصراع والقتال دولا قريبة وبعيدة عنه، كالأردن وتركيا. إنها تدابير سيجعلها الغرب والعرب من الآن فصاعدا مكافئة لما يفعله الروس وحليفهم الدمشقي، وسيطورانها على النحو الذي يضع في أيديهما وسائل وأدوات أكثر ملاءمة للصراع المتعاظم الاحتدام. لذلك، أضع يدي على قلبي وأقول: «اللّه يستر»!.

3 - إن الجيش السوري الحر غدا فجأة أكثر أطراف المعارضة السورية أهمية في الميدان، مع احتمال شبه مؤكد بأن تتعاظم أهميته باضطراد، ما دامت الأمور ذاهبة نحو مزيد من العنف الأعمى، الذي سيتصاعد بلا قيود أو حدود، وما دام الغرب والعرب يعلنان استعدادهما لتزويد هذا الجيش بالأسلحة الحديثة التي تمكنه من الدفاع عن الشعب، أي من أجل الرد على حرب النظام بحرب مضادة، أو لمساعدته على الصمود فيها، أو تمهيدا لتدخل عسكري غربي / عربي على خطها، إن كانت قوى الجيش الحر غير كافية لتحقيق الأغراض التي سيتصدى لتحقيقها أو يطلب منه تحقيقها. ببروز الجيش السوري الحر كفريق ميداني أول على الأرض، يعمل بالتعاون مع التنسيقيات الميدانية، يرجح أن تتغير بنية المعارضة وأوزان مختلف شرائحها، وتتغير معها مهماتها وعلاقاتها، وتدخل سوريا في زمن عسكرة عامة تكون السلطة قد فرضتها بحل أمني اعتمدته لمعالجة أزمة لا يصلح لحلها، ولا يملك الوسائل والأدوات المناسبة لذلك.

باختصار: نحن أمام تحول خطير جدا في الأزمة السورية، يبدل مفردات الممارسة التي تعتمدها كافة أطرافها، يعني اعتمادها الانتقال إلى طور جديد تماما من الصراع، تؤيد فيه الأطراف الدولية المختلفة الأطراف المحلية المتصارعة، التي ستبرز فيها أدوار عسكرية مباشرة أو غير مباشرة لكل من تركيا والأردن من جانب، ولأطراف في العراق وإيران ولبنان من جانب آخر، مع ما قد يترتب على ذلك من توازنات جديدة من شأنها تعويق أي حل سياسي يرفضه أحد الطرفين الدوليين المتصارعين، وإطالة أمد نزاع صار شديد التعقيد من خلال تحويله إلى صراع بين جبارين خارجيين، يستبعد أن يسمح أي منهما بهزيمة حليفه الداخلي، رغم ما قد يترتب على ذلك من خسائر فادحة ستنزل بالسوريين، ومن تفاقم الحرب بالوكالة بين العاجزين عن، أو غير الراغبين في، خوض حرب مباشرة، الذين يتذابح المتقاتلون بأسلحتهم وبالنيابة عنهم، وفي إطار حساباتهم، ولصالحهم أكثر فأكثر.

هذا التطور تسارع بعد الفيتو الروسي / الصيني، وأدخل سوريا والمنطقة وربما العالم بأسره في دائرة مخاطر لا يعلم أحد غير اللّه كم ستكون نتائجها مأساوية على السوريين والعرب والإيرانيين والأتراك خاصة، وعلى غيرهم من مواطني عالمنا عامة .

كان هناك توازن داخلي حال من جهة دون إسقاط النظام، ومن جهة أخرى دون خروج أو إخراج المتظاهرين من الشوارع، وتوازن إقليمي إيراني / تركي كبح انفلات الجانبين، وتوازن دولي روسي / أميركي قيد تدخل الجانبين في الصراع وكبحه وأبقاه في حدود محكومة بظروف الداخل. بعد اليوم، سيعمل النظام من خارج هذا التوازن، وكذلك الترك والإيرانيون، والروس والأميركيون، وسيزج كل طرف بما يستطيع الزج به لكسر الطرف الآخر، في عصف شامل لن يسهل وقفه، إلا إذا أدركت أطراف الصراع، وخاصة الدولية منها، خطورة ما قد يقع، وبادرت إلى تطبيق حل يمني بإشراف مباشر من روسيا، حسب ما كانت تقوله مسودة قرار مجلس الأمن، الذي تخلت روسيا عنه لسبب غير معروف، مع أنها كانت موافقة عليه إلى ما قبل ساعات قليلة، وفتح تخليها عنه أبواب التطورات والاحتمالات التي حاولت رصدها في هذه العجالة .

كيف سيتصرف المعارضون والمواطنون السوريون حيال هذا التطور، الذي لا مصلحة إطلاقا لهم فيه، ليس فقط لأنهم الضحايا الذين سيتضررون منه أكثر من جميع خلق اللّه، بل كذلك لأنهم لن يخرجوا رابحين منه، إلا إذا قبلوا الانضواء في سياق أميركي أو روسي؟.. هذا هو السؤال، الذي عليهم مواجهته بنزاهة تجافي النزعات الغوغائية التي شابت فكرهم وسلوكهم إلى اليوم، وسمحت بحدوث ما وصفته من مخاطر وتطورات لم تكن في أي يوم جزءا من مشروع الحرية، التي نزلوا إلى الشارع طلبا لها، وعليهم اليوم تجسيدها في مرحلة انتقالية رسمها الحل اليمني، تقوم على قبول تسوية تاريخية بين جميع أطراف العمل العام السوري، بما فيها البعث والنظام، تأخذنا على مسار حرية لن يكون تحقيقه سهلا إلى الديموقراطية، التي يرجح أن لا نراها إلا بعد مرور سنوات كثيرة من بدء هذه المرحلة. بغير هذا أو شيء ما يشبهه، نستطيع قراءة الفاتحة على روح الحرية والديموقراطية وسوريا الدولة والمجتمع !.

السفير 18 / 2 / 2012

فلسطينيون في الثوّرة السوريّة:
أربعون شهيداً.. وأحلام مشتركة!

■ محمد دحنون

- «أذكر إحدى خصائص القوميّة العربيّة؟».

- «التاريخ المشترك والآلام والآمال المشتركة!».

لمرّات كثيرة وُجّه سؤالٌ كالسابق إلى سوريين في مراحل مختلفة من حياتهم الدراسيّة. وحتماً، سيكون الجواب مأخوذاً من كتابهم «التربيّة القوميّة الاشتراكيّة»، الذي كانت صورة «القائد الخالد» تتصدّر إحدى صفحاته الأولى. ووفق المنطق البعثي نفسه، وبعيداً عن أيّة نظريّة للمؤامرة، سيكون من الطبيعي أن تتأثّر سوريا بما حدث في كلّ من تونس ومصر وليبيا واليمن والبحرين طبعاً.

لكن لا شيء من هذا يؤخذ بالاعتبار، فالثوّرة السوريّة: «مؤامرة كونيّة» بالنسبة للنظام السوري وموالاته!

وهل يشارك الفلسطينيون في تلك «المؤامرة»؟!

نعم، يفعلون!

أربعون شهيداً فلسطينياً (بحسب تقرير للجان التنسيق المحليّة) سقطوا حتى السادس عشر من الشهر الماضي، على أيدي قوات الأمن والشبيحة، جراء انخراطهم في الثوّرة السوريّة التي تريد إسقاط نظام ما انفك يعلن (يعلن وحسب) أنّ فلسطين قضيته المركزيّة.

تنوّعت المشاركات الفلسطينيّة في نشاطات الثوّرة، فمن داخل الأراضي المحتلّة شارك المئات من الفلسطينيين في وقفات تضامنيّة مع نضال الشعب السوري في سعيه إلى نيل الحريّة. وقد وقّع عشرات المثقفين الفلسطينيين على بيان تضامني مع الشعب السوري المنتفض متوّجهين إلى النظام السوري بالقول: «ليس باسمنا، ليس باسم فلسطين ترتكب الجرائم في سوريا الحبيبة، أيّها القتلة. لا تجعلوا من قضيتنا العادلة قناعا لجرائمكم بحق إخوتنا السوريين».

أمّا الفلسطينيون المقيمون في سوريا فقد احتضنت بعض مخيّماتهم المنتفضين السوريين، لا سيّما في حمص واللاذقيّة وحماه. هذا بالإضافة إلى مشاركاتهم في النشاطات الميدانيّة للثوّرة السوريّة، بدءاً بالتظاهر مروراً بتقديم الدعم الإغاثي وصولاً إلى... الشهادة!

يعبّر أحد الشباب الفلسطينيين عن موقفه من النظام السوري بلهجة سوريّة محليّة. يقول: «عزيزي الرئيس، فلسطين أيضاً تريد إسقاطك: كيفك فيّا؟!».

ومن الممانعة ما قتل!

يتحدث «م. ع.»، وهو عضو في (تجمّع الشارع السوري) وأحد الناشطين الفلسطينيين المشاركين في بعض نشاطات الثوّرة، عن رأيه في ما يسمى «الممانعة» في إطار إجابته عن سؤال يتعلّق بما يدفعه للوقوف إلى جانب ثوّرة تسعى لإسقاط نظام يدّعي أنه يسعى لتحرير فلسطين. يقول: «بداية، يجب أن نقرّ بأن تاريخ الفلسطينيين مع هذا النظام هو تاريخ أسود، وليست المجازر التي قامت بها قواته في مخيم «تل الزعتر» سوى نموذج عن هذا التاريخ». ويضيف: «الممانعة لا تعدو كونها ورقة بالنسبة للنظام الذي أسمّيه نظام المساومة». ويعتقد «م. ع.» أنّ فلسطين بالنسبة للنظام السوري لن تكون أكثر أهميّة من لواء اسكندرون، فهو قد «اعترف في الأشهر الأولى من الثورة بالدولة الفلسطينية كخطوة لاسترضاء إسرائيل واستدرار دعمها». ولكن، هل يمكن نفي الدعم الذي قدّمه النظام السوري لفصائل فلسطينية مقاومة؟ يجيب الناشط: «عمل النظام تاريخيّاً على شقّ الصف الفلسطيني، وكان مصراً على الدوام على وضع الفلسطينيين تحت جناحه، وأجبر منظمة التحرير على الذهاب إلى تونس. واقتصر دعمه على القوى الإسلاميّة على حساب القوى العلمانيّة». وفي المحصلة، يمكن القول إنّ «هذا النظام هو أكثر من أساء إلى القضيّة الفلسطينيّة من خلال الاتجار بها!».

أمّا عن رأيه بموقف «حزب اللّه» من الثوّرة السوريّة، فيقول «أنا مع أي تنظيم يطلق النار على الكيان الصهيّوني، ولكن على ألاّ يستعمل هذا السلاح لإطلاق النار على مدنيين عزّل في سوريا. فعندما يصف نصر اللّه ما يحدث في سوريا بالتمرّد المسلّح فإنّه يبرر قمع الثوّرة الشعبيّة في سوريا عبر الآلة العسكريّة للنظام».

«فلسطيني وسوري.. واحد»

في شهر حزيران من العام الماضي فتح النظام السوري الحدود على جبهة الجولان. ولكن ليس أمام فرقه العسكريّة التي كانت مشغولة بقمع «العصابات المسلّحة» في درعا وغيرها من المناطق السوريّة. فتحت الحدود التي علتها طبقات الغبار على امتداد عقود «السلام خيارنا الاستراتيجي» أمام فلسطينيين وسوريين مدنيين عزّل توّاقين للوصول إلى الأراضي المحتلّة. قتلت قوات الاحتلال الإسرائيلي يومها عدداً منهم. وفي تشييع بعض الشهداء هتف فلسطينيون «واحد واحد واحد فلسطيني وسوري واحد»، و«واحد اثنين.. الجيش السوري وين!».

هذا وغيره من الأسباب هو ما دفع بالكثير من الفلسطينيين المقيمين في سوريا إلى المشاركة الفاعلة في الثورة السوريّة. يتحدّث «م. ع.» عن بعضها. يقول: «بالنسبة لي أعتبر أن للفلسطينيين المقيمين في سوريا وضعا خاصّا، يتمثّل في كوننا نعتبر أنفسنا مواطنين سوريين. وهذا لا يعني أنّنا غير متمسكين بالجنسيّة الفلسطينيّة أو بحقّ العودة. ولأنّنا كذلك، فأعتقد أن إقامة دولة مدنيّة ديموقراطيّة في سوريا تكفل للفلسطينيين حقوقهم ستكون نصراً لهم وخطوة نحو فلسطين».

وانطلاقاً من ذلك، يؤكّد «م. ع.» أنّ دوافع انخراط فلسطينيين في الثورة السوريّة لا تختلف كثيراً عن دوافع السوريين المنتفضين، وهو يوجزها في ثلاثة أسباب: «أوّلا الدولة الأمنيّة التي، بصفتها هذه، كانت قد سعت للتحكم بالتوجهات السياسيّة الفلسطينية بما يخدم مصالح النظام السوري، ثانياً الوضع الاقتصادي، وأخيرا الدافع الإنساني والأخلاقي».

بالطبع ليس كلّ الفلسطينيين المقيمين في سوريا هم من أنصار الثورة، كما ليس كلّ السوريين بطبيعة الحال، ولكن الفلسطينيين المناهضين للثوّرة هم بحسب الناشط منضوون في أحد الفصائل التي يقودها «ضابط سابق في الجيش السوري، يعلم أن وجوده مرتبط بوجود هذا النظام!».

من ناحية أخرى، يقرّ الناشط الفلسطيني بأن تجارب تدخّل الفلسطينيين في أزمات بلدان اللجوء (مثل الأردن ولبنان) قد عادت بنتائج سلبيّة على القضيّة الفلسطينيّة عموماً، ولكنّه في ما يخصّ الحالة السوريّة يعتقد أنّ الأمور مختلفة، إذ يعتبر أنّ الفلسطينيين المنخرطين في الثورة يراهنون اليوم على الحصان الرابح. يقول: «الثورة الشعبيّة في سوريا لا يمكن أن تُهزم».

ملحق شباب السفير 14/2/2012

من فلسطيني إلى لاجئ سوري في تركيا

■ إلياس س. إلياس

في حالات كثيرة نتشابه يا ابن دمي وإنسانيتي، في حالات أكثر رأيت فيك 'تغريبتي' التي أجاد فنانون من بلادك إعادة سردها فوقفوا عاجزين صامتين أمام أطفالك بين الشجر الفاصل بين جغرافية وجغرافية، نتشابه يا ابن هذه العروبة التي جربناها وجربتنا في توجس المتأمل لصاعقة تسقط على رأسينا من هول صدمة اجتياحك واجتياحي، هناك من درعا القريبة من حدودنا وجذورنا وهناك في جسر الشغور تتكرر المأساة بوجهين يختلفان باللهجة ويتساويان في ممارسة جبانة.. أصدقك أكثر مما يصدقك كل هذا العالم.. أصدقك مثلما كنت أنصت لأجدادي وما كان يقوله جنود رسميون أتوا على أمل تحريرنا فعززوا من نكبتنا في غياب الإرادة وغياب الأوامر.

الفاصل بين وقتي ووقتك ستة عقود.. القدم الهمجية التي نسفت البيوت على رؤوس من ظن منا أن الأمر ليس أكثر أسبوعين. الفاصل بين الزمنين مليء بمشاهد العهر الذي حولك إلى لاجئ ونازح كما حولنا، مليء بالخداع والنصب والاحتيال وروايات اشعر بالتشابه والعار منها: يبررون قتلك وتهجيرك كما فعلوا معي، تلك ألسن عبرية وهي ألسن عربية معك، ويا لها من عربية مفجعة وصادمة.

يختبئ فنان من بلادك وراء رواية ساقطة إنسانيا في صمت وجبن لم اشهد له مثيلا في هذه الحركة الخانعة في سكون جمعي للذاكرة والضمير وتردي الوظيفة في حمل منشفة تمسح للسفاحين ملوثات الجريمة المقترفة بحقك، جبن تأصل كما فعل معي لحظة كنا نستصرخ الضمير المؤجر في متاهات البغاء السياسي والثقافي المجمع على فنون الخطابة اللغوية بوجه آلة تدمير صهيوني. في بلادي ثمة ما يشبه جبال بلادك الخضراء في جسر الشغور، في بلادي بحر وسماء وفضاء كان لأجدادي فيهما تجلياتهم الخاصة دون سؤال عن دين وانتماء فوق أرض لا حدود لها.

يا ابن إنسانيتي و ابن ضميري وحريتي، هون عليك كل هذا الصمت العربي وهون عليك كل هذا النفاق الذي يلف منظر الهلع الذي أصاب أطفالك وزوجك وأمك.. هون عليك قليلا إن شعرت بغضب واسى السؤال المرتد صداه إلى عرب لاذوا بجامعة عربية نصل سكاكينها قتلني مرات ومرات.

أيها الأخ، منك أقول لبقية سوريين يعيشون كل معاني انحدار كرامة الإنسان العربي في سلطة حكام استمرؤوا القتل لكرسي عصابة تعيش على برك من دماء وأشلاء أبناء البلاد، طيلة عقود ونحن نبلع سكينا ينهش بأحبالنا الصوتية، تتكوم الكلمات في جوف أكثرنا، حين كنا نصرخ تنهال لعنات الاتهام علينا عربية وعجمية، نحن الذين غادرنا قرانا ومدننا في فلسطين لنصير لاجئين ونازحين في مخيمات العروبة بفعل صهيوني جائر آتهمنا، أو أجدادنا ببيع أراضينا! ذلك لم يكن أمرا أقل فظاعة من أكاذيب يحاك بحقك، تعبير عن إفلاس الضمير تلك، أنت الذي استضفت أبناء بلدي قبل أن يولد الحاكم الذي حكمك وقبل أن يبيعونا في سوق الشعارات الهابطة، لا يمكنني أن أكون إلا معك ومع حريتك وكرامتك وليأخذوا كل تصوير بائس لي ولك إلى الجحيم.

أيها السوري الذي أصبح لاجئا في ألفية ثالثة من تأريخنا البشري لا تتحول إلى ضحية تنهش بك ضالة شرادم عصابات الموت المتنقل في بلادك بطائرات ودبابات تعطي مؤخرتها لعدو مغتصب لأرضك وأرضي لحظة أن رفعت قبضتك وصرخة حريتك بوجه مضطهدك، فالضحية يا أخي لعبة يريدها لك ولي هؤلاء الذين يتباكون كذبا علينا وباسمنا يجتاحوننا.

يا ابن انسانيتي وحريتي، منك عز الدين القسام ومنك العاص ومنك هؤلاء الذين احتضنوا أهلنا المشردين فعاملتوهم كما أخوتكم وأبناء بلدكم، قبل أن يكون البعث حاكما وقبل أن يولد بشار وغيره، لا تظنوا أن هؤلاء الذين يتحدثون عن ممانعة ومقاومة وعروبة يستطيعون أن يفصلوا عرى التاريخ والعلاقات بيننا ولا أن يكذبوا باسم 'القضية' التي حولوها إلى شماعة للقتل والقمع والتأخر والديكتاتورية، فاستعاضوا بشعارات 'التقدم' و'الممانعة' متناسين أن لذاكرتنا عمقا فيمن انقلب على رفاقه يوم أرسل دبابات إلى طريق الأردن دون غطاء جوي دفاعا عن ثوار فلسطين، فانقلب ووضع هؤلاء في السجن عام 70 ولن ننسى تل الزعتر بعد ذلك بسنوات ستة، ولا تخاذل 73 بتسليم مربض جبل الشيخ مرتان للإسرائيلي، ولا ملاحقة شرفاء الجيش السوري في معركة بيروت ولا حرب المخيمات القذرة من عام 85 الى 88 بدعم فاضح وصارخ لحركة أمل وقبلها بسنتين حصار مخيمات طرابلس وذبح المقاومة الفلسطينية هناك، ولا الآلاف من المعتقلين الذين عوقبوا لسنوات تحت التعذيب باسم 'فرع فلسطين'.

أشعر بالعار والخجل أن يقول فلسطيني أنه مع هذا النظام، لكن يا إخوتي بالإنسانية والضمير البشري: نحن لسنا شعبا من الملائكة.. نحن مثلكم مثل بقية الشعوب، فينا الجيد وفينا الانتهازي وفينا المخدوع بالشعارات، اعذرونا يا أيها الأحرار على سفاهة بعضنا.

اشعر بالعار من عروبة صامتة على تغريبتكم الجديدة في ذل جامعة العرب وصمتها وجبن مثقفيها، أشعر بالعار من فنانين كذبوا باسم القضية ومن معارضات بان وجهها القبيح كما تاه المثقف في زواريب دور ليس دوره.

يا أخوتي السوريين جميعا، بعربكم وكردكم، أعتذر منكم جميعا أن يُخطف اسمنا بهذا الشكل الوضيع لتبرير القتل وسفك الدماء بدبابات ورصاصات كان يجب أن تكون وجهتها حيث العدو الصهيوني وليس في المدن السورية كما ردد ببلاهة دريد لحام. فلا محمود درويش كان ليقبل هذا الخطف لقصائده عند هذا القاتل القذافي وهذا الشبيح المافياوي في دمشق وعصاباته على التلفزة التي سقط عنها القناع.

أيها السوري الحر، تأكد وأنت تتأمل من لواء اسكندرونة بلادك التي هجرتها وتنظر في أطفالك واهلك كيف حولتهم طغمة ديكتاتورية الى مجرد لاجئين أنك تملك عمقا إنسانيا عند أخيك الفلسطيني، أخيك الذي يقدر فيك أن صنت شرف الأهل الذين أتوك ضيوفا فأحسنت الكرم والشهامة، تذكر يا أخي ويا رفيقي وتذكري يا أخت ويا أم كل هؤلاء في فلسطين من يفهم هذه المأساة التي تعيشون، نفخر بشجاعتكم وحريتكم وكرامتكم ولن نكون سوى أحرارا معكم، كم تمنينا أن تكون حدودنا متاحة لنا لنضعكم في مآقي عيوننا وأن نبلسم جراحكم بكل محبتنا، وأن نجفف دمعة وصرخة تلك الطفلة عند الحدود المندهشة من قتل جندي لأبناء جسر الشغور. لقد علمتمونا أيها السوريون أسماء مدنكم وأعدتم لنا بعضا من ضميرنا وإنسانيتنا وشجاعتنا واكتشفنا كم أسماء قرانا متشابهة وكم جغرافيتنا وحريتنا قريبة من بعضها.

لكم جميعا في فلسطين عمقا سيبقى ينظر إليكم كما نظرتم أنتم أيها الشعب الشهم إليه، لا تظنوا أن اللجوء سيجعل منكم أقل إنسانية أو شجاعة، من مأساة اللجوء و التشرد صُنعت المعجزات والانتصارات، وأول انتصار هو على الذات، هكذا علمنا تاريخنا وهكذا تعلمنا نحن هنا على أرض بلادنا المحتلة وشعبنا المشرد والمشتت بأن لا نفقد الأمل.

لا نكرر الكلام إذا قلنا: نريد حريتكم قبل حريتنا. نحن لا نقبل ولا بأي حال من الأحوال أن يكون شعبنا السوري العظيم لاجئا خارج بلاده ولا مهجرا على أرضه بفعل الشعارات الساقطة عن المقاومة والممانعة.

فلسطين التي عرفت معنى اللجوء يا أخي السوري من الشغور وتلكلخ ومعرة النعمان وإدلب معكم مع حريتكم وتحرركم، على الأقل شعبها الذي لم تلوثه بعض أجهزة الاستخبارات كما فعلت مع بعض قياداته. وكم نشعر بالأسى والخجل من موقف حزب الله الذي بدل أن يقابلكم كما قابلتموه في 2006 قام بتسليم وحجز حرية من هرب من بطش السلطات ويدعوكم للقبول والخنوع بينما يتمتع هو بحرية التعددية والاعتراض على ما يريد في لبنان، كم يؤسفنا أن نسمع أبواق النظام من لبنان وسوريا وهم يرددون تفاهات الممانعة والمقاومة بينما شعبهم السوري يقتل.

نحن نفهمكم ونحن معكم وسيظل الفلسطيني المدرك لعمق إنسانيته وحريته معكم إلى تحرركم وسنطلق عندها صرخاتنا فرحين لتلك الحرية وسنباركها لكم من هنا من ربوع فلسطين التوأم مع سوريا الحبيبة الحرة بشعبها الحر.

كاتب فلسطيني

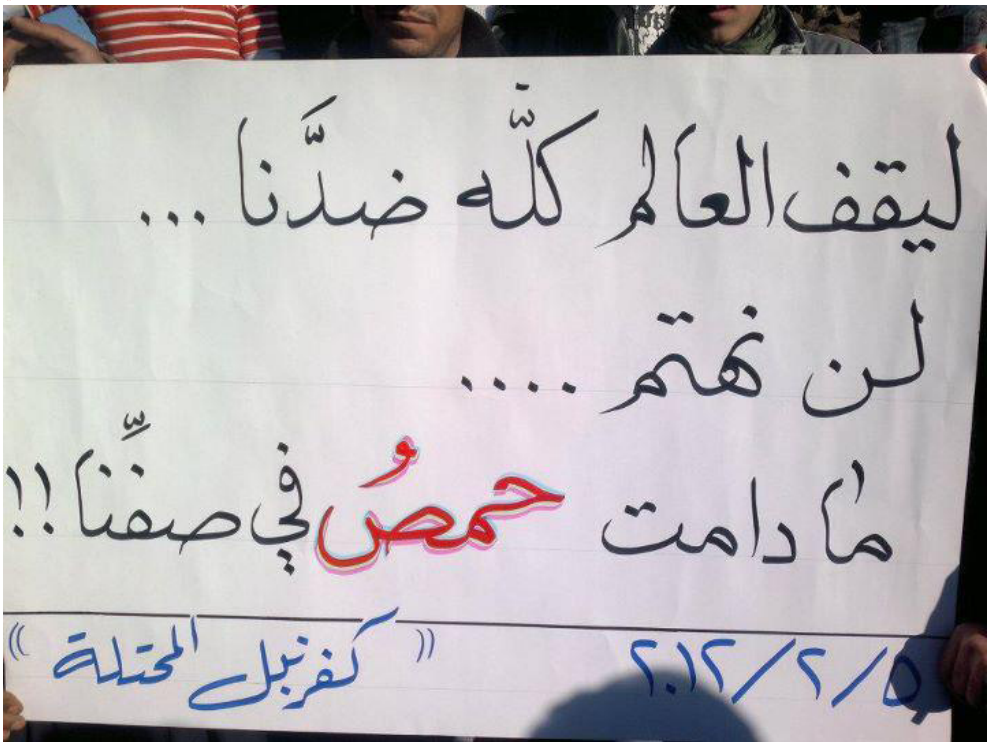

قراءة في الدستور الجديد .. من خارجه

■ ابن حزم

وأخيراً بعد عشرات آلاف الشهداء والجرحى والمفقودين واللاجئين، صدر مشروع الدستور الجديد للبلاد، وبعد أن غرقت سورية بدماء أبنائها، وأصبح نسيجها الوطني مهدداً، أطل علينا النظام السوري ببند جديد من بنود مشروعه الإصلاحي في البلاد. ومما لا شك فيه أن نصوص الدستور قابلة لنقاش واسع حول مدى جديتها وتلبيتها لتطلعات الشعب السوري، ولكن دعونا من نصوص الدستور وتفصيلاتها الشائكة، وتعالوا ننظر إليه من الخارج قليلاً، ليس من وجهة النظر السياسية، وإنما من وجهة النظر الحقوقية، وذلك بالاستناد إلى مفهوم الدستور ودوره في بنيان الدولة، أي دولة.

الدستور بالتعريف المدرسي الشائع هو مجموعة القواعد التي تنظم تأسيس السلطة وانتقالها وممارستها، أو هو مجموعة القواعد المتعلقة بالتنظيم السياسي في دولة من الدول، وهو تعريف وظيفي للدستور ينطبق على الدستور بمفهومه الحديث، كما ينطبق على ما كان عليه الدستور في العصور الوسطى وما قبلها عندما كان مصدره إرادة الملك المطلقة بوصفه معبراً عن ضمير الجماعة، أو بوصفه ممثلاً لإرادة الإله على الأرض.

بدأت النقلة النوعية في مفهوم الدستور في نهاية القرن السابع عشر ثم في القرن الثامن عشر، وجاءت تحت تأثير عاملين أساسيين ومتراكبين، الأول يتعلق باتجاه فقهاء القانون الغربيين نحو ضرورة تدوين جميع القواعد الدستورية في كل دولة وتبويبها وتجميعها في مجموعة واحدة بسبب التعقيد الذي بدأ يطرأ على بنية الدولة وأجهزتها، وأما العامل الثاني وهو العامل الجوهري الذي أضفى على الدستور معناه الجديد، فيتمثل في تبلور وشيوع اتجاه "جون لوك" و"جان جاك روسو" في نظرية العقد الاجتماعي التي تتلخص في اعتبار المجتمع ناشئاً عن عقد يبرم بين الأفراد المكونين لهذا المجتمع يتنازلون فيه عن حريتهم للمجتمع ككل أو "للسلطة العليا للإرادة العامة" حسب تعبير "روسو" نفسه، وبالتالي فإن أفراد المجتمع هم الذين يعطون السلطة لصاحب السيادة وينزعونها منه إذا أساء استعمالها. وهكذا لم يعد الدستور مجرد نصوص تنظم السلطة في الدولة، بل هو المعبر عن مشروعية الدولة وعن قبول الشعب لنظام الحكم القائم وموافقته على أسلوبه في الإدارة، ولأنه كذلك فإن تغييره منوط بأبناء المجتمع الذين توافقوا عليه، كما أن تغيير بند من بنود أي عقد منوط بأطراف العقد مجتمعين. وفي ظل هذا المفهوم للدستور ازدهرت الديمقراطية ونشأت الدول الحديثة، وتحولت الملكيات المطلقة إلى ملكيات دستورية، ونشأت الدول الديمقراطية ذات النظام الجمهوري.

وبالحديث عن الدول الديمقراطية ذات النظام الجمهوري، فإن مشروع الدستور الجديد في البلاد يقول إن سورية دولة ديمقراطية ذات نظام جمهوري، إلا أن من صاغ الدستور كان لجنة معينة بإرادة الحاكم المطلقة، وتمت صياغته ومن ثم طرحه للاستفتاء العام في ظل انتشار الجيش وقمعه لمناطق واسعة من البلاد، وفي ظل تجاهل لإرادة تيارات وقطاعات واسعة أهلية وأيديولوجية في المجتمع السوري، وهو بهذا المعنى وبصرف النظر عن مضمونه ليس معبراً عن إرادة جامعة للسوريين، ولا يعد عقداً اجتماعياً حتى لو وافق عليه السوريين في استفتاء عام، لأن موافقتهم لن تكون قبولاً لعقد اجتماعي جديد، بقدر ما ستكون مبايعة لملك أو سلطان أو خليفة تحت حد السيف.

يعني كل ما تقدم أن أي دستور يتم إقراره في ظروف مماثلة لا يمكن أن يكون متوافقاً مع المفهوم الحديث للدستور، ويعني كل ذلك أن التحليل الحقوقي الصرف يقودنا إلى القول إن الدستور الجديد وبصرف النظر عن مضمونه ليس دستورياً وفق مفهوم الدستور الذي ترعرعت النظم الديمقراطية في كنفه وتطور في كنفها، إلا أنه دستوريٌ بامتياز في ظل أنظمة الحكم الملكية المطلقة في العصور الوسطى، وعليه فإن من يريد أن يبايع الملك المعظم المعبّر في شخصه عن ضمير الجماعة المفترض، وعن إرادة الإله في الأرض، فلينزل إلى صناديق الاستفتاء ليعلن بيعته، ومن يريد أن يكون مواطناً في دولة ديمقراطية حديثة فليدع صناديق الاستفتاء لرعية الملك، وليمضي في طريقه باحثاً عن المواطنة.

دندنات

رسالة من فلسطيني إلى لاجئ سوري

■ إبراهيم جابر إبراهيم

قد تُضيعك أمّك في الحقول«التركية»، وسيكون مُضحكاً أن يقول لاجئ - في معرض حديثه لاحقاً - أنه قد ضاع!

وحده الذي كان يعرف وجهته، هو الذي يضيعُ يا صديقي، وأنت وجهتك كانت مُجرّد النجاة من الموت، وها أنت لم تمت على كل الأحوال!

ولا تَخف، فكلّ شيء في البيت، هناك، سيظلّ على حالِه، أواني المطبخ، ألعاب الأولاد، الشُجرة العاقر خلف النافذة.. كل شيء سيظلّ على حالِه، لكن عليك بدءاً من هذا الصباح أن تعتاد أشياءك الجديدة: أنت الآن رقمٌ في سجلات اللاجئين، وفي نشرات الأخبار، وفي اجتماعات اللجان ومساعي الوفود، وفي قصائد الشعراء الذين يستفيدون من قتلى المعارك أكثر مما يستفيد عُمّال المقابر!

ستكون الخيمة مزعجة في الليلة الأولى، ثم في السنة الأولى، بعد ذلك ستصير ودودة كواحدٍ من العائلة، لكن احذر أن تقع في حبها، كما فعلنا!

لا تبتهج إن رأيتهم يقيمون لكم مركزاً صحياً، أو مدرسةً ابتدائية، هذا خبرٌ غير سارّ أبداً!

وإيّاك أن تتورط بمطالبات غبية مثل بناء بيوت بسيطة بدل الخيام، أو بخطوط مياه وكهرباء، ذلك يعني أنك بدأت تتعايش.. وهنا مَقتل اللاجئ، وهنا أيضاً مَقبرته!

انتبه دائماً أن لا تترك غضبك في الخيمة حين تخرج، كُن غاضباً دائماً، غضبك هو الذي سيجعلك حيّاً، غضبك مَعدات بقائك، وإن استرحتَ يوماً فهذا يعني أنك لم تعد تلهث باتجاه «العودة»!

ولا تُدرّب أولادك على الصبر، الصبر حيلة العاجز، وذريعة مَن تَخلّى، واللاجئ يموت إن لم ينظر خلفه مرّتين في اللحظة الواحدة.

أنت لستَ ابن «هناك»، تَذَكّر هذا دائما، أنت لك «هنا» جميل ولا يُخان .. لا تنم ليلة دون أن تُعدّد محاسنه لأطفالك، واقرأ عليهم كيف مات الناس، وكيف ذُبحوا على شاشات التلفزيون لأنهم لم يُصفّقوا للخِطاب، وقل لهم أنك تنام بين أشجارٍ غريبة، لأنك لم تشأ أن تُلدغ من جُحرٍ واحدٍ مرّتين!

سيبيعك الناس لبعضهم، تلك هواية السياسيين، وسيجيئك المتضامنون من كل البلاد، ستصير أنتَ شعارهم الانتخابي، ويتقربون بك إلى الله، وستزداد همّة الناس في تفقّدك في «رمضان» وفي الأعياد والمناسبات الدينية!

والبعض سيصوّر أطفالك منهكين وجائعين لمجرد أن يحصل على مكافأة من رئيس التحرير أو مدير المحطة، وزوجتك النائمة الآن في الظل قد تكون موضوعاً لصورةٍ تفوز بجائزةٍ دولية!

تلك حياتك الجديدة: سينشب حبٌ في الخيام، ويولد رَسّامٌ موهوب، وسيولد أيضاً عميلٌ وعاهرة، وسيولد فدائي مهنته أن يصنع (من جزمةٍ أفقا)!

ستتعلّمون لغات جديدة، ومشاعر جديدة، وستنشأ علاقةٌ مُلتبسةٌ مع المنفى، وقد تشعر في ليلةٍ ماكرةٍ بأنه لا ينقصهُ شيء ليكون كافياً كوطن.. لكنك سرعان ما ستنتبه: الأشجار هنا لا تخضرّ كما يجب، والملح ليس مالحا، والذين ماتوا لن يغفروا لي، وتعود تنظر للوراء مرّتين!

وهنا سيتقدمُ ابنك الذي صار رجلاً دون أن تنتبه ليحمل عنك الذاكرة.. ليحمل دُلمك الذي أنقض ظهرك!

ربما يا صديقي أن الأمر سيبدو مُعقّداً في البداية، لكنّه واضحٌ: أنت «هناك» لأن الـ«هنا» متوعكة، وقد يطول غيابك ليلتين، لكنك لستَ في رحلةٍ للبحث عن هويّة جديدة، ولن تُفكر حتماً في مدّ سلك كهرباء الى الخيمة.. تلك خطيئتنا نحن، حين قلنا: الخيمة ضيّقة ونحتاج خيمتين إضافيتين!

يا صديقي لا تُفكّر في الأمر إلا وأنت تنظرُ خلفك، وتذكر أيضاً أنك أدرتَ خدّك الأيسر مرّتين، أيّ خدّ ستدير الآن؟!

واسمعني، فأنا أفوقك خبرة بـ63 عاماً في هذه «المهنة»: لا تلتقط الصور التذكارية مع سفراء النوايا الحسنة، ولا تشكو لهم حرارة الطقس أو من الحصى في الخبز، وحاذر أن تطالب بخيمةٍ أفضل، ليس ثمة خيمة أفضل من خيمة، وقل لهم أن مشكلتك ليست عاطفية ولن تحلها زيارة «أنجلينا جولي».

عن فيس بوك

قانون تنظيم التواصل على الشبكة ومكافحة الجريمة المعلوماتية

■ ياسر مرزوق

عن سنكر لويس ومن مقدمة روايته "بوبيت": "أنا أؤمن بالإنسان كقدرة خلاقة فالتجدد في الذات الإنسانية حاجة أصيلة أصالة اللون في الزهر، والتجانس هو مقبرة تسلب الفرد كل ما فيه من عنفوان، إن الاختلاف والتحرر هما المكون الأساسي لكل إنسان".

وعن الفرنسي "جيد" ننقل: "إني أحب الحرية أبعد الحرية، لا حرية الهوا الصرف، ولا عدم المبالاة، ولكن الحرية المبدعة الإيجابية، أن تعرف كيف تتحرر ليس شيئاً والمهم أن تعرف كيف أن تكون حراً".

وعن لقاء للشاعر الكبير "أحمد فؤاد نجم" مع مجلة "الشروق" بتاريخ 8 شباط 2010 ننقل: "بعد سنوات سيكون بين كل عشرة من أكبر المختصين بالمعلومات والاتصالات ثلاثة من مصر، إن الشباب المصري ذاق الحرية عبر الإنترنت، وستخرج الفراعنة جديداً من أصلابهم".

إن عصر المعلومات وعصر الشبكة العنكبوتية هو عصر الحريات بلا منازع، عصر تكافؤ الفرص والفضاء المفتوح الذي انتقل فيه الشباب السوري من أبطال في مسرحية "بيير أنديو"، "ستة أشخاص يبحثون عن مؤلف"، والتي يدخل فيها أفراد العائلة على مدير المسرح فيعلنون له أنهم عبارة عن شخصيات خطرت في بال مؤلف مسرحي ولكنه لم يتم خلقها خلقاً كاملاً فهم يتوسلون إلى المدير أن يسمح لهم بتمثيل الأدوار التي كانوا قد خلقوا من أجلها إلى أن تخلى عنهم المؤلف الأصلي ومارس الشباب السوري دوره الذي خلق من أجله وتركت المنديات الإلكترونية لهم مساحات من الحرية لم يعهدوها على الصعيد السياسي والاجتماعي والديني.

فبدأ المؤيدون والمعارضون للنظام بإنشاء الصفحات والمواقع الإلكترونية وإن لم تخلو هذه المشاركات من عدم فهم لآداب الاختلاف والحوار، وإن شابها شيءٌ من الطائفية والمناطقية أحياناً إلا أن هذه السلوكيات لم تخرج عن باب المألوف لمجتمع لم يعهد تجربة ديمقراطية منذ أمدٍ بعيد، وكان الحل الأمثل، لتفادي هذه المشكلات هو التوعية والتأكيد على ممارسة الديمقراطية ليستفيد الشعب السوري من ثورة المعلومات التي تأخر عن ركابها كثيراً.

ومع استبشارنا بالإضاءات التي ظهرت في قانون الإعلام رقم /28/ عاد المشرع السوري للوراء من خلال المرسوم /17/ لعام 2012 الصادر عن رئيس الجمهورية والذي إن جازت لنا تسميته "قانون طوارئ إلكتروني".

فقد نصت المادة الخامسة من القانون على إلزام مقدم خدمات التواصل عبر الشبكة أن يضع في موضع بارز من موقعه الإلكتروني البيانات التالية:

- اسم صاحب الموقع الإلكتروني أو مقدم خدمات التواصل على الشبكة وعنوانه وسجله التجاري في حال وجوده.

- اسم المدير المسؤول عن الموقع الإلكتروني وعنوانه ووسيلة وبيانات الاتصال به.

ولا يلزم القانون مقدم خدمات التواصل على الشبكة بغير الصفة الاحترافية بتقديم هذه البيانات إلا أنه ألزمه بتقديم بياناته للمضيف وألزم المضيف بتقديمه للقضاء إذا أمر بذلك.

إن لم نعتبر أن المادة الخامسة موجهة للضغط على معارضي النظام وإجبارهم بالتعريف عن أنفسهم فهذه المادة بمطلق الأحوال تحد من حرية التعبير بشكل فاضح لأن المحاذير الدينية والاجتماعية تمنع أي مستخدم للشبكة من التصريح عن بياناته عند مناقشة أي موضوع شائك، كما أعطت المادة سبعة من القانون للسلطات صلاحية حجب أي موقع إلكتروني إذا امتنع عن وضع بيانات التعريف المنصوص عليها في المادة خمسة.

كما عاقبت المادة الثامنة من المرسوم مقدم الخدمات الذي يهمل تنفيذ التزاماته بحفظ نسخة من المحتوى المخزن لديه وحفظ بيانات الحركة التي تسمح بالتحقق من هوية الأشخاص الذين يسهمون في وضع المحتوى على الشبكة بالغرامة من 100 ألف إلى 500 ألف ليرة سورية، وإذا كان هذا الإهمال مقصوداً فالعقوبة هي الحبس من ثلاثة أشهر إلى سنتين والغرامة من 200 ألف إلى مليون ليرة سورية "لا بد من الإشارة إلى أن حجم الغرامات يعتبر الأكبر في تاريخ التشريع السوري".

لا بد من الإشادة بالمادتين /14-15/ والتي نصت الأولى على مراعاة حقوق المؤلف والملكية الفكرية والثانية التي نصت على معاقبة من يقوم بالدخول قصداً وبطريقة غير مشروعة إلى جهاز حاسوبي أو منظومة معلوماتية أو موقع إلكتروني دون حق.

كما نصت المادة /19/ من القانون بمعاقبة كل من يقوم بتصميم البرمجيات الخبيثة وترويجها لأغراض إجرامية بالغرامة من خمسمئة ألف إلى مليونين ونصف.

كما نصت المادتان /20-21/ على معاقبة مرسلي البريد الواغل أو مرتكبي جرم الاحتيال عبر الإنترنت.

كما نصت المادة /24/ على إنشاء ضابطة عدلية مختصة باستقصاء الجرائم المعلوماتية ومنحتها حق الاستعانة بخبراء من وزارات الدفاع والعدل والاتصالات.

أعطت المادة /25/ حجيةً للدليل الرقمي أمام المحاكم إذا توافر فيه شرطان هما أن الأجهزة أو الشبكات المستمد منها الدليل تعمل على نحو سليم وأن لا يطرأ على الدليل المقدم للمحكمة أي تغيير خلال مدة حفظه "تظهر هنا إشكالية تقنية لا تملك حتى الدول المتقدمة إمكانية ربط أي مستخدم مع أية مشاركة إلكترونية فالفضاء المفتوح عرضة للاختراق من أي مستخدم تقريباً"، كما أعطت المادة /26/ الضابطة العدلية الحق في تفتيش وضبط البرمجيات والأجهزة الحاسوبية.

نصت المواد /28-29-30-31/ على عقوبات مشددة على الجرائم الإلكترونية تحت عناوين الأعمال العدائية والتحريض والمس بهيبة الدولة أو السلامة العامة أو إذا جرى ارتكاب الجريمة بواسطة عصابة منظمة، أو إذا استغل مرتكب الجريمة عمله الوظيفي، كما عاقب المشرع على الشروع في الجرائم المذكورة.

وقد عرف القانون العصابات المنظمة بأنها جماعة أشخاص أو فعاليات عادة ما تكون ذات تنظيم مركزي تهدف إلى ممارسة الأنشطة الإجرامية سواء على الصعيد الوطني أو الإقليمي أو الدولي.

إن صدور هذا المرسوم وفي هذا التوقيت وفي هذه الظروف يوحي بآفاق خنق الحريات الشخصية واستهداف أي صاحب حاسوب أو جوال وفتح باب للتضييق على نشطاء الإنترنت كما أنَّ ضبابية بعض البنود وترك مساحات ضيقة جداً للخصوصية والحرية الشخصية وحرية التعبير يترك الباب مفتوحاً أمام السلطات لاستهداف من لا يعجبها وربما حبسه وسلب الغرامات منه.

ما من شك أن التواصل الاجتماعي يجب تنظيمه قانوناً كخطوة ثانية بعد تفعيل الشبكة العنكبوتية حقاً وإتاحتها لكافة المواطنين إلا أن عنوان هذا التنظيم يجب أن يكون حرية التعبير وإبداء الرأي التي صانها الدستور السوري.

إن التقدم والتطور الإنساني وكما نشير مراراً هو حتمية تاريخية تلقفها الفلاسفة من هيغل إلى كانط إلى نيتشه وسبنسر وبنوا مقولاتهم عليها لبنة لبنة، ولا يحق لأي مشرع أو نص تشريعي عرقلة أو تأخير هذهَ الحتميَّة التاريخية.

يا أرضنا.. شهداؤنا: نوصيك بهم خيرا

الشهيدة الطفلة أسيل محمد أنور جبر

الشهيدة الطفلة أسيل محمد أنور جبر من مدينة الشيخ مسكين، نالت منها يد الغدر في مساء يوم السبت الواقع في2012/2/11 وهي في سيارة والدتها أثناء عبورها من مدينة داعل... حيث أطلق الشبيحة المتواجدون على حاجز الدوار عليهم النار من الخلف رغم سماحهم لهم بالعبور.

الطفلة أسيل من مواليد 27 يوليو 2004، ووالدها ووالدتها من الأطباء المشهورين في محافظة درعا.

من رثاء الأب لابنته الشهيدة:

أسيل يا ملكة الملامح يا قمري... الجبين
لو كان للأسد عقل لسألناه
كيف يفسر موت البلابل والياسمين
لو كان للأسد قلب
تردد في ذبح أولادنا الطيبين
أأسيل يا ملكة الملامح يا قمري الجبين
صديقاتك بدرعا منتظرات رجوعك
يا سيدة الطفولة والأولين
فكيف سأكسر أحلامهن
وأغرقهن ببحر الذهول
وماذا أقول لبنات وأولاد عمك يا عمري ماذا أقول
إني جبان أمام رثائك..
فارحمي أباكي...

الشهيد الطفل محمد أحمد باكير

الشهيد الطفل أحمد ظافر عصاية

إثر إطلاق النار على سيارة كانوا يستقلونها برفقة السيد مصعب مبيّض وشخص رابع لم يعرف اسمه، حيث تم إطلاق النار عليهم بواسطة رشاش إحدى الدبابات المتمركزة جسر المزارب عند مرورهم بالقرب منه، فاستشهد الطفلان المذكوران، بينما أصيب السيد مصعب مبيض وتم اعتقاله وهو جريح، كما تم اعتقال الشخص الرابع.

الشهيدتان هند عدي ووالدتها صبحية محمود

الشهيدتان هند عدي ووالدتها صبحية محمود، من ريف دمشق منطقة مضايا، استشهدتا بإصابة خطيرة عند مرورهم بسيارة في سهل مضايا على أحد الحواجز حيث تم اعتراضهم مما أدى لاصطدام السيارة بالدبابة فاستشهدتا على الفور. مع اعتقال لأحد الأشخاص الذي كان معهما..

الرحمة لكل شهداء سوريا

شمعات الحرية . . معتقلونا

المعتقل الحرة حسن زهرة

عن المرصد السوري لحقوق الإنسان: أن جهاز المخابرات العسكرية اعتقل الجمعة 17 / 2 / 2012 المعارض السوري البارز حسن زهرة من أمام منزل نجله في مدينة سلمية، بعد الاعتداء عليه بالضرب واقتاده إلى مقر فرع المخابرات العسكرية في حماة.

جدير بالذكر أن المعارض حسن زهرة 68 عاما سجين سياسي سابق بتهمة الانتماء إلى حزب العمل الشيوعي واعتقل أكثر من مرة خلال الأشهر الماضية بتهمة تنظيم التظاهرات ويعاني من ربو وانتفاخ رئوي وارتفاع ضغط الدم.

إن المرصد السوري لحقوق الإنسان يطالب بالإفراج الفوري عن المعارض حسن زهرة وعن كافة معتقلي الرأي والضمير في السجون والمعتقلات السورية، ويدين المرصد بشدة استمرار السلطات الأمنية السورية ممارسة سياسة الاعتقال التعسفي بحق المعارضين السياسيين ونشطاء المجتمع المدني وحقوق الإنسان والمتظاهرين السلميين.

يا نحن

أفكار برسم السوريين المترددين

■ سحبان السواح

هل يمكن أن نصل في زمن الثورة هذا إلى أن نتفق لمرة وحيدة في هذه الحياة. اتفاقنا يعني حريتنا، اتفاق المسلم بطوائفه كلها، والمسيحي بطوائفه كلها، مثل هذا الاتفاق يعني أننا نستحق الحرية التي نطالب بها.

لو فكر المسلم، واعتذر عن استخدام تسميات لا أحب استخدامها ولكنها ضرورية هنا، لو فكر المسلم السني، أن يتوجه في الغد في مدينة حمص ليقول للمسلم العلوي أن لا شيء بيننا، وأنه يحبه كما كان يحبه قبل الثورة، وأنه لا يحمل ضغينة ضده.

لو فكر المسلم العلوي، أن يذهب إلى بابا عمر ليساعد في المأساة الإنسانية الحاصلة هناك، لو أن عددا من العلويين توجهوا إلى بابا عمرو وقالوا لأهلها لسنا نحن الذين نقتلكم، وإننا براء من الذين يقتلونكم.

لو فكر مسيحيو سورية أن نظام الأسد لن يحميهم حين يصبح في حالة الخطر الشديد وأنه سيضحي بهم ويتركهم لمصيرهم وأن الذين سيحمونهم هم أهل سورية الثائرة، لو فكروا بقليل من المسؤولية، والتأمل بأنهم أمضوا عمرهم جيراناً أحباء وأصدقاء، وأنه ما من مسلم يفكر بالتعرض لهم لكانوا وقفوا مع أخوتهم السوريين ضد طغيان النظام.

لو أن بعض المسلمين السنة المتشددين فكروا قليلا أن تشددهم ليس من الإسلام في شيء، وإنهم وإخوتهم من بقية الطوائف الأخرى في سورية هم أصحاب الأرض، وأصحاب السلطة، وأصحاب الرأي وأن النظام طارئ، ولا تهمه سوى مصالحه، ولا بقاء له على الأرض السورية لتصرفوا بطريقة أخرى، لأحبوا بعضهم بعضا ووقفوا يدا واحدا ضد طغيان النظام.

لو فكر أي سوري، مرتاح في بيته، وبين أسرته، وهو ينعم بالدفء، والاستقرار أن هذا النظام لن يتركه بشأنه حين يقضي على الثوار، وهو غير قادر على ذلك، ولكني أفترض افتراضا لأقول أنه لو تأكد وعليه أن يتأكد، فقد عاش دهورا جنبا إلى جنب مع أخيه من الديانات الأخرى والطوائف الأخرى، دون أن يؤذي أحدهم الآخر. يجب أن يصل إلى نتيجة أن النظام في حال استقرت له الأمور سيكون أشد بطشا على الجميع بعد أن مر بما مر به من إذلال على يد الثوار السوريين، وأن المسيحي وبقية الطوائف ومنها العلويين سيكونون تحت رقابة صارمة، وسيزداد عنف النظام معهم ومع كل أبناء الوطن.

لو حدث ذلك، لو فكر كل السوريين بما ذكرته لكانوا اليوم ويدا واحدة يلاحقون فلول النظام للوصول إلى حريتهم المنشودة.

لا أصدق أن المسيحي راض عن هذا النظام، ولكنه خائف من بديله، ولا أظن الدرزي راض عن هذا النظام ولكنه خائف من المجهول القادم الذي لا يعرفه.. وهكذا بقية الطوائف.. لو أن كل منا يؤمن بالآخر،لو تذكر التاريخ الطويل الذي عاشه مع جاره من الديانة أو الطائفة الأخرى لما شعر بهذا الخوف.

هي دعوة صادقة للجميع، ليس مثل أخيك في المواطنة يمكن أن يصدقك، ومن يهدر دم جارك من ديانة أخرى سيهدر دمك بعد حين.كيف يمكن أن تأتمن نظاما سفاحا قاتلا، مجرما على أبنائك بعد اليوم مهما كانت ديانتك أو طائفتك.

فكر جيدا أيها السوري، فكر بتمعن، وتذكر آباءك وأجدادك كيف عاشوا وكيف كانوا، تذكر ماضي هذا البلد قبل مجيء سلطة البعث، ونظام الأسرة المالكة. وستكتشف أن الصمت لن يجديك.

لن يجديك سوى أن تكون يدا بيد مع أخيك الثائر على جور النظام، أنت مرتاح في بيتك ودفئه اليوم، ولكن من يدري متى سيأتيك الدور.

أعط لنفسك فرصة للتفكير.. ثم اتخذ قرارك..

عن موقع ألف

حمص خارج السجن الأسدي

■ محمد أبي سمرا

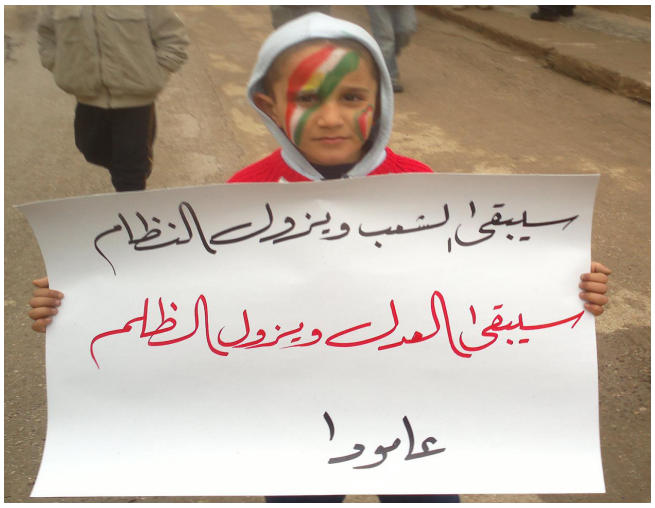

وسط حملات القتل اليومي في سوريا، أي طقوس وشعائر يستعيدها السوريون في وقفاتهم وتظاهراتهم اليومية الراقصة والهاتفة في ساحات حارات حمص وسواها من المدن السورية؟

احتفالات الختان وسواها من مناسبات وشعائر دينية – عائلية، كالموالد والأعراس وحلقات الذكر الصوفية، كان الأهالي يحيونها في "سوريا الأسد"، شريطة ألا تعلو أصوات الأناشيد والمدائح والأدعية وتتجاوز بيوت المحتفلين. أما إذا علت الأصوات في احتفال ما وبلغت نواحي الحارة، فإن رجال الأمن يحضرون إلى بيت المحتفلين، فيستطلعون من هو صاحبه، ولماذا يحيي الاحتفال، ويتحققون من حصوله على إذن أو تصريح مسبق من أحد المقار الأمنية في الحارة. فإقدام عائلة على إحياء احتفال مشهود في مناسبة ما، وإحضارها جوقة منشدين أو مغنّياً تعلو أناشيدهم وغناؤهم في الحارة عبر مكبرات الصوت، كانا يتطلبان إعلام أحد المقار الأمنية، والحصول منه على إذن أو تصريح مسبق، وإلا يتعرض الاحتفال للتوقيف، قبل أن تجري مساءلة المحتفلين وملاحقتهم والتحقيق معهم في مقر أمني يُساق إليه أهل البيت الذي يقام فيه الاحتفال، وأحياناً مع سواهم من الحاضرين. على أن السوريين جميعاً علموا وخبروا ما يحدث في مقار أجهزة الأمن الأسدية، أو سمعوا عنه أخباراً مروعة جيلاً بعد جيل، منذ ما قبل مقتلة حماة الكبرى في العام 1982، وتوابعها من المطاردات والاعتقالات والمقاتل الصغرى والإعدامات الميدانية في سواها من المدن والأرياف السورية. الحملات الأمنية المتعاقبة هذه لم تتوقف عن تخيير المجتمع السوري ما بين أن يعيش سجين الصمت والخوف والكتمان والكذب والتسليم بجبروت دولة أمنية تقدّس "الأب القائد" وتعبده وذريته ورهطه، في العلانية العامة ومواكبها وحشودها، وما بين أن يتعرض كل من لا يسلم بهذا كله إلى الاجتثاث والسجن الأبدي، أو الاختفاء الإرادي والتشرد في البلاد، أو الفرار منها إلى ديار الله الواسعة.

في هذا السجن الأسدي الكبير فُرض على السوريين من أهالي الحارات والأحياء السنيّة في المدن، كتمان احتفالهم بشعائرهم وطقوسهم الدينية والشعبية، والخوف من إحيائها جهاراً في العلانية العامة الأهلية، لأنها قد تستبطن إسلام جماعة "الإخوان المسلمين" وأتباعهم، وتستحضره وتذكر به، بعدما قامت الدولة الأسدية في حملهم على مقاومتها بالسلاح والتفجيرات والاغتيالات في مطلع ثمانينات القرن العشرين.

* * *

خلف مشاهد التظاهرات في ساحات حمص، وخصوصاً المسائية والليلية منها في الخالدية وباب السباع وباب عمرو، أخذتُ ألمح، فجأة، صوراً ضبابية لموالد وأعراس أتخيل أنها استدراك لما لم تعشه حمص في أعياد طفولتي وصباي، أيام كان يحظر على أهالي الحارات أن يحتفلوا بأعيادهم وسواها من مناسبات، ويُمنَعون من تزيين الساحات وإضاءتها بالمصابيح الكهربائية ووضع مكبّرات للصوت في جنباتها. أحدّق في الشاشات أمامي، ومذهولاً التهم بعينيّ ما أبصره من مشاهد في الساحات نفسها، غير مصدِّق أنني أرى ما أراه، ثم أفكر أن ما يصوّره شبان التظاهرات بكاميرات هواتفهم ويبثونه على الشبكة الإلكترونية، ينقل مشاهد لعالم وبشر سابقين على اكتشاف التصوير، لكن هذه المشاهد ليست إلا من صنع الصور والتصوير. كأن الأجيال الشابة في سوريا تتدارك ما فاتها في خمسين سنة عاشتها خارج الزمن والعالم والصور. الصور التي تنبعث منها أو يبعث الشبان فيها قوة بدائية، عارية ومتقشفة، اندفعت، فجأة، من قلوبهم وأجسامهم، ومن أعماق سوريا المتجمدة والصامتة منذ أجيال في صور الأسد وأبنائه وأنصابهم وكلماتهم الأشد جموداً وخواءً من تلك الأنصاب والتماثيل التي انتصبت كالقبر في الشوارع والساحات.

مذهولاً أحدّق في صور التظاهرات، فأتذكر ساحات الحارات شبه خالية وخاوية حينما كانت الأعياد مناسبات لانكفاء الأهالي وانزوائهم في البيوت، ولتبادلهم الزيارات والتهاني، منكسرين، بعد زيارتهم مقابر موتاهم وقتلى حملات الاجتثاث والترويع والتشريد التي حوّلت سوريا سجناً أسدياً كبيراً، فتعود أهلنا على إقصائنا، نحن أطفال الحارات وأولادها، عن أوقات تزاورهم الصامت الكئيب في الأعياد، بأن يرسلونا لتوزيع النوغا والبسكويت وراحة الحلقوم عن روح النبي على أبواب المساجد. أحدّق الآن في الشاشات أمامي، وأسأل نفسي: هل هذه التظاهرات أعياد متأخرة ودامية في الساحات؟! مرة، فيما أخذت رؤى تذكر لي أسماء شهداء تظاهرات إحدى الجمع في حمص، كدت أقول لها إن هؤلاء الشهداء هم شهداء الصحوة المتأخرة من سنوات الصمت والتسليم والموات التي أطبقت على جيلها وجيلي، ورثناها عن أهلنا وأجيال سابقة في السجن الأسدي الكبير الذي كنت لأكون من شهدائه المتأخرين، الذين أحصي اليوم أسماءهم في بيروت التي قادتني الأقدار إليها، عندما كان رجال المخابرات يوقفون سياراتهم "البيجو" البيضاء قرب مداخل المساجد لمراقبة رجال الحارات الذين كانوا يلبسون جلاليباتهم البيضاء النظيفة، ويتوافدون إلى المساجد لأداء الصلاة في فجر نهارات الأعياد، وفي ظهيرات الجمعة. آنذاك، في طفولتي وصباي، كنت أسمع في الحارة أن من يربّي لحيته ويطيلها على نحو يُسمّى "عرف"، كأن يُعرّض نفسه لتهمة أنه من "الإخوان" أو من مؤيديهم وأتباعهم، فيتعرض لمساءلات ومضايقات ترغمه على الإقلاع عن إطالة لحيته التي تنكد عليه حياته اليومية. والذين كانوا يسمّون "دساسين" في الحارات، لم يكن أحد يعلم من يكونون، ويقال إنهم يكتبون يومياً تقارير يرفعونها إلى المقار الأمنية لرجال المخابرات. "سياسة" الدسائس هذه كان رجال الأمن يحرصون على إشاعتها بين الأهالي، ليظل حضورها الافتراضي والغامض أقوى وأشد سطوة من حضورها الفعلي أو الحقيقي، كي تبقى الريبة والشك متفشيين في نسيج الحياة اليومية وعلاقات الأهالي، فلا يأمن هذا على نفسه من ذاك، ويقول هذا لذاك إن شخصاً ثالثاً "خطّه حلو" أو إنه "رفيق"، كناية عن أنه دسّاس يكتب التقارير، فيهيمن صمت على الجميع، ويفسد الحذرُ العلاقات والكلمات بين الأفراد والجماعات، وخصوصاً ما بين السنّة والعلويين الذين تنزل جماعات منهم في أحياء يغلبون على سكانها ونسيجها الاجتماعي، غلبتهم في الإدارات والمؤسسات الحكومية، وفي أجهزة الأمن الكثيرة الأسماء والمقار في أحياء المدينة وحاراتها.

* * *

لم أكن على معرفة بأيّ كردي سوري أو غير سوري، قبل أن يعرّفني كاتب سيرتي هذه إلى شاب كردي من القامشلي، فرّ في الشهر الثامن من الثورة إلى بيروت هارباً من دمشق، حيث كان يقيم ويعمل وينشط في إحدى تنسيقياتها، فاستضفته أسبوعين في غرفتي البيروتية. حمله على الفرار تهديد رجال الأمن أهله في القامشلي بقتل أخيه المجند في الجيش، إن لم يكفّ هو عن نشاطه في التنسيقية الدمشقية. أثناء نزوله في ضيافتي أرسل إليه أهله جواز سفر مزوّراً، لقاء 5 آلاف دولار دفعها والده لضابط في المخابرات العسكرية. طوال ليلة أمضيناها منفردين في غرفتي، روى لي ما لا أعلمه عن تاريخ مدينتي الاجتماعي وموقعها الجغرافي الفريد في سوريا. فجأة فكرتُ وأنا أستمع إليه أن رغبته في الرواية، وما يرويه عن حمص، مستجدان، كعزوفي التلقائي عن رغبتي في الهجرة إلى أوروبا، وكالهوى الغامض الذي ملأني به صوت رؤى ووجهها المتخيل، فيما هي تجول بي، عبر الـ"سكايب"، في شوارع حمص وحاراتها وأحيائها، وأنا جالس في غرفتي البيروتية.

فيما كنت أستمع إلى الشاب الكردي، أخذت صورة جديدة لحمص ترتسم في وعيي ومخيلتي، تختلف عن صورتها في ذكرياتي، كأنه في ما رواه أراد أن يقول إن "سوريا الأسد" التي توقف الزمن والتاريخ بها، ليست قدراً، وإنها لن تبقى محمية أمنية أسدية خرساء، وامّحى تاريخها الحي واختُصر برفع الابتهالات وآيات التقديس لحارس الأمة والتاريخ، بوصفه معجزتها الوحيدة. لذا تهيّأ لي أنني أسمع في رواية الشاب عن حمص، أصداء من هتافات شبّان سوريا وشاباتها وأهلها، مذ فاجأوا أنفسهم والعالم بخروجهم الملحمي إلى الشوارع والساحات، محاولين إخراج مدنهم وبلداتهم وأريافهم والجغرافيا البشرية والاجتماعية لبلدهم وتاريخه، من ذلك السجن الأسدي الكبير الذي أرغموا على العيش فيه مقهورين خائفين. فكل تظاهرة في شوارع سوريا وساحاتها، وكل كلمة يهتف بها المتظاهرون، وكل صورة يصوّرونها ويبثونها على شاشات العالم الافتراضي الأشد واقعية وحقيقة من كل ما عاشوه طوال أكثر من نصف قرن، هي فعل خروج سيزيفي على القهر والخوف، كأنهم في هذا يقولون إن في سوريا بشراً سوى ذلك الصنم الطوطمي الكئيب المنتصبة تماثيله في الساحات الخاوية قبل خروجهم إليها. وليقولوا أيضاً أن في صدورهم كلمات سوى كلمات الطوطمية الجوفاء، وسوى كلمات وارثه المهذارة الشبيهة بكلمات مدرّس بعثي، على ما قال محدّثي الكردي الشاب، قبل أن يروي لي شذرات مما ألحقه نظام الأسد من تغيرات في تركيب حمص السكاني، غداة استيلائه على السلطة في سوريا العام 1970.

في عشايا ذلك الاستيلاء كانت الغالبية السكانية سنّية في حارات المدينة التقليدية القديمة، كباب السباع، وبابا عمرو، وباب الدريب، والبياضة، والمقبرة، إلى جانب حضور بارز للروم الأرثوذكس الذين كان وادي النصارى، إلى الجنوب الغربي القريب من حمص، معقلهم التاريخي القديم في سوريا. أما الخالدية، أقدم الأحياء المحدثة، فنشأ في ستينات القرن العشرين على تخوم الحارات، وتشبّه بها عمرانه العشوائي، بعد توسعه ونزوح جماعات من البدو للإقامة على أطرافه.

ملحق النهار 18 / 2 / 2012

سوريتنا
أسبوعية تصدر عن شباب سوري حر
هيئة التحرير - الناشرون:
■ جواد أبو المنى ■ حمزة الجندلي ■ حنين اليوسف ■ خالد كنفاني ■ سعاد يوسف
■ سلمى الخطيب ■ غسان فارس ■ ليلى السمان ■ ماريا الحداد ■ ياسر مرزوق
صفحتنا على فيس بوك: www.facebook.com/pages/Souriatna
للمراسلات: souriatna@gmail.com souriatna.wordpress.com
نرحب بكل المساهمات والمشاركات، بعد مراجعتها وخضوعها لشروط النشر

اعتذار إلى الشعب السوري

■ فهمي هويدي

نحن مدينون باعتذار إلى الشعب السوري، الذي يذبح تحت أعيننا كل يوم منذ أحد عشر شهرا، في حين خذلته الشعوب العربية ووقفت منه موقف المتفرج. كأنما صار «قلب العروبة» محاطا بعرب بلا قلب.

(1)

من الجمعة 3 فبراير إلى الجمعة التالية 10 منه تم (قتل 755 سوريا. ومنذ بداية الانتفاضة الأسطورية في منتصف مارس الماضي قتل النظام القائم حتى الآن نحو 8 آلاف شخص واختفى عشرة آلاف وامتلأت السجون بعدد لا يحصى من المواطنين، وكانت الجريمة الوحيدة التي ارتكبها كل هؤلاء أنهم تمنوا أن يسترد بلدهم كرامته وحريته، بعد نحو 45 عاما من الاستبداد والقهر. حتى أننا طوال الأشهر التي خلت أصبحنا لا نرى في سوريا سوى أنها بلد غارق في دم أبنائه. شوارعها لا تسير فيها سوى جنازات الضحايا ومدرعات القتلة. ومدنها موعودة بالخراب والدمار كلما ارتفع فيها صوت يطالب بالحرية. بل أننا ما عدنا نسمع سوى أزيز الصواريخ والقاذفات واستغاثات المحاصرين المطالبين بوقف المجازر، وهتافات المصرّين على إسقاط النظام، والداعين إلى أي تدخل عربي أو دولي يكبح جماح غارات التتار الجدد.

(2)

هذه الجريمة المستمرة منذ أحد عشر شهرا لم تحرك شيئا في العالم العربي، الذي اكتفت أغلبيته بمتابعة ما يجرى عبر شاشات التليفزيون، تماما كما يحدث مع أي مسلسل تركي!

من المفارقات أن العالم العربي والإسلامي اهتز وانتفض حين ظهر كتاب «الآيات الشيطانية» وحين نشرت إحدى الصحف الدنمركية رسوما مسيئة للنبي محمد عليه الصلاة والسلام، لكنها لم تكترث بالمذبحة المستمرة التي يتعرض لها الشعب السوري. وإذ أفهم مشروعية الغضب للمقدسات الدينية إلا أنني أستغرب ذلك التقاعس عن التعبير عن الغضب دفاعا عن كرامة المسلمين وعزتهم. الأمر الذي يكشف في جانب منه عن مدى الخلل في المفاهيم السائدة التي تفصل بين عقيدة الإنسان وكرامته، وتقصر الغيرة والحمية على الأولى دون الثانية، علما بأن للعقائد ربا يحميها، أما انتهاك حرمات الناس واستباحة كراماتهم فهو يمثل عدوانا على حق من حقوق الله، يستوجب الاستنكار والاستنفار ويستدعى الاحتشاد والخروج للضرب على يد الظالم.

إذا قال قائل بأن للجامعة العربية قدمت مبادرات وأوفدت مراقبين وذهبت إلى مجلس الأمن لتستقوي به في مواجهة نظام دمشق، فلن اختلف معه. لكنى أقول فقط إن الجامعة تمثل الحكومات ولا تمثل الشعوب، ثم إن المراقبين ذهبوا حقا وعادوا ولم يفعلوا شيئا غيّر من المعادلة، وإنما استثمر النظام مهمتهم لكسب الوقت بهدف الانتهاء من قمع المظاهرات. أما اللجوء إلى مجلس الأمن فقد أجهضه الفيتو الروسي والصيني، ولم يعد أمامنا من مبادرات حل الإشكال على الصعيد الدولي سوى مؤتمر أصدقاء سوريا الذي دعت إليه فرنسا، والمؤتمر الدولي الموازى الذي دعت إليه تركيا. إلا أن أهم تطور رسمي حدث على الصعيد العربي تمثل في سحب بعثة المراقبين، وطرد سفراء سوريا لدى تونس ودول مجلس التعاون الخليجي، واعتراف ليبيا بالمجلس الوطني الذي يمثّل الثورة السورية.

(3)

في الحالة الليبية كان واضحا أن سقوط القذاف مسألة وقعت بسبب تدخل حلف الناتو. وهو ما تكرر في اليمن منذ أطلقت المبادرة الخليجية بتأييد غربي واضح، إذ لم يكن أمام الرئيس على عبد الله صالح إلا أن يغادر في نهاية المطاف. أما في الحالة السورية فالأمر أكثر تعقيدا، إزاء استحالة التدخل الدولي، واستحالة المصالحة بين المجتمع والنظام بعد كل الدم الذي أريق، واستعصاء الحسم الداخلي عسكريا، وهشاشة الضغوط العربية، الأمر الذي يعنى ثلاثة أمور أولها أن النظام السوري المتماسك بصورة نسبية حتى الآن لا يزال قادرا على الاستمرار ما لم تحدث مفاجأة غير متوقعة. الأمر الثاني أنه في ظل الخرائط العربية الراهنة والأوضاع الدولية القائمة يبدو أنه كتب على الشعب السوري أن يخوض معركته وحيدا. الأمر الثالث ترتب على سابقه، وهو أن المعركة ستطول وأن معاناة الشعب سوف تستمر وسوف تتزايد معها فاتورة التضحيات والآلام.

مستقويا بعوامل وأوراق الداخل، وبالدعم الإقليمي والمساندة الخارجية، فإن النظام السوري وجد نفسه مطمئنا إلى الاستفراد بالشعب السوري، وغير مستعد للتراجع خطوة إلى الوراء بالتالي فكل ما يطلقه من شعارات تحدثت عن التغيير والحوار الوطني والإصلاح السياسي ما عاد لها معنى، ولم تعد تؤخذ على محمل الجد. وبات واضحا للجميع أنها من ذرائع المراوغة وكسب الوقت.

يراهن النظام السوري في الداخل على القبضة الأمنية القوية، وعلى مساندة قطاع عريض من الطائفة العلوية، التي يلوح بها كفزاعة لا تخوف فقط من احتمالات الحرب الأهلية، ولكنها فزاعة أيضا لإزعاج الجارة تركيا التي يزيد فيها عدد العلويين على عشرة ملايين نسمة، وبالمناسبة فإن النظام السوري يستخدم ورقة الأقليات العرقية والدينية ليس فقط للتخويف من بدائله، ولكن أيضا لتحدى الجيران وترهيبهم. ففي مواجهة الضغوط التركية مثلا فإنه لا يستخدم الورقة العلوية فقط وإنما يلوح أيضا بتوظيف الورقة الكردية. إذ رغم أن أكراد سوريا في حدود 200 ألف نسمة أغلبهم في محافظة القامشلي، فإنهم في شمال تركيا أكثر من 12 مليونا واشتباكاتهم مع أنقرة لها تاريخ طويل.

يستقوى النظام أيضا بالتأييد الإيراني واسع النطاق الذي استصحب تأييدا عراقيا ودعما من حزب الله في لبنان. ومعلوم أن ثمة تحالفا استراتيجيا بين سوريا وإيران، راهنت فيه طهران على نظام الأسد وليس على الشعب السوري، وهذا التحالف يؤمن البلدين بدرجة أو أخرى في مواجهة التهديد الإسرائيلي، لكن له دوافعه المذهبية أيضا. إذ من شأنه أن يعزز موقف الطائفة العلوية الأقرب إلى الشيعة في سوريا، كما يعزز موقف حزب الله في لبنان. في حين أن تغيير النظام في دمشق لا يقلب هذه المعادلة لصالح السنة في سوريا فحسب، ولكنه يهدد بتغيير الوضع في العراق، من حيث إنه يقوى ساعد أهل السنة هناك في مواجهة الأحزاب الشيعية المهيمنة والموالية لإيران.

الخلاصة أن النظام السوري في مقاومته لأي تغيير سياسي يستقوى بعدة أوراق في يده.

ويخوّف من قلب المعادلات الإقليمية، كأنما يبعث إلى الجميع برسالة تقول إنه إذا كان سيئا فالذي سيترتب على رحيله أسوأ.

في الساحة الدولية يراهن النظام السوري على مساندة روسيا والصين. وهو ما تجلى في الفيتو الذي استخدماه في مجلس الأمن للحيلولة دون معاقبته. يدفع البلدين إلى الموقف الذي اتخذاه أنهما ضد تمدد النفوذ الأمريكي في المنطقة. وقد أعلنا صراحة أن الدول الغربية «خدعتهما» حين لم يعارضا فرض الحظر الجوى على ليبيا، إذ بعد أن فعلا ذلك أطلقت يد حلف الناتو في العمليات العسكرية، وتم تجاهل روسيا والصين. وهما لا يريدان تكرار هذا المشهد مرة ثانية، إضافة إلى ذلك فلروسيا علاقات خاصة مع دمشق، إذ لها قاعدة خدمات بحرية في ميناء طرطوس ثم إن كل السلاح السوري يتم شراؤه من موسكو، أما الصين فلديها حساسية من تأييد أي تحول ديمقراطي عبر مجلس الأمن ولا تريد للمجلس أن يتدخل في الشأن الداخلي لأي بلد، لأن ذلك يمكن أن يرتد على بكين ويستدعى ملفات داخلية كثيرة تسبب إحراجا لها.

(4)

الغائب عن المشهد حتى الآن هو ضغط الشعوب العربية، خصوصا دولة مثل مصر، التي يفترض فيها الريادة ويتعامل معها الجميع باعتبارها «الشقيقة الكبرى»، الأمر الذي يستدعى السؤال التالي: لماذا لم يحرك شلال الدم المتدفق في سوريا شيئا يذكر في الشارع العربي عامة والمصري خاصة؟ ـ هناك عدة عوامل أسهمت في ذلك الغياب منها ما يلي:

ـ إن مصر منذ وقعت معاهدة السلام مع إسرائيل في عام 1979 استقالت عمليا من موقع الريادة، ودخلت في طور الغيبوبة الكبرى التي لا تزال مستمرة حتى الآن. وفى غيبوبتها تلك فإنها لم تنكفئ على ذاتها فحسب، ولكنها التحقت بما سمى معسكر «الاعتدال» الذي أصبح من الناحية العملية يدور في فلك السياسة الأمريكية. وحين حدث ذلك من جانب «الشقيقة الكبرى» فلك أن تتصور صداه في أرجاء البيت العربي.

ـ إن أجواء الربيع العربي أغرقت عدة أقطار في شأنها الداخلي لأن سقوط الأنظمة تطلب جهدا كبيرا لتأسيس الأنظمة الجديدة، الأمر الذي صرف الانتباه عن أمور أخرى مهمة حاصلة في الساحة العربية.

ـ إن بعض النخب يحفظون للنظام السوري وقفته إلى جانب المقاومة الفلسطينية، ويرون في تلك الوقفة حسنة تغفر له الكثير من سيئاته، في حين أن لديهم شكوكا في بعض عناصر معارضة النظام.

ـ إن الملف السوري أشد تعقيدا مما يتصوره كثيرون. إذ لا خلاف على أن النظام القائم في دمشق يهيمن عليه حفنة من الأشرار، إلا أن القوى الخارجية التي تسعى لإسقاطه يحركها طابور طويل من الأشرار أيضا.

الأمر الذي حيّر كثيرين ممن صاروا يفاضلون بين الشيطان الذي يعرفونه والشيطان الذي لا يعرفونه.

ـ إن تدويل القضية أصبح مثيرا للشك والريبة، بعد تجربة حلف الناتو في ليبيا. علما بأن الوضع الذي نحن بصدده الآن أصعب، لأن ليبيا وراءها الثروة النفطية فقط، أما سوريا فوراءها خريطة جديدة للمشرق، وربما للشرق الأوسط، إذا وضعنا في الاعتبار تأثير سقوط النظام السوري على إيران وتركيا.

***

ما العمل إذن؟ ـ ردى أننا ينبغي أن نصيح بأعلى صوت قائلين: لا لاستمرار المذبحة ولا لتدخل حلف الناتو. وفى هذا الصدد لا مفر من الاعتراف بأن انهيار النظام العربي يحول بيننا وبين أن نتوقع حلا عربيا يضغط لكي يوقف المذبحة ويسلم السلطة للعناصر الوطنية السورية.

ويبدو أنه لم يعد أمامنا سوى أن نراهن على الشعوب العربية التي صحت أخيرا، وعلا صوتها الذي حجبته الأنظمة الاستبدادية، وقد سمعنا مؤخرا صوت تلك الشعوب في مظاهرات تونس وليبيا وموريتانيا. وإلى أن نسمع صوت بقية الشعوب العربية وفى مقدمتها شعب مصر، فإننا لابد أن نقدم اعتذارا للشعب السوري عن خذلاننا له وتقاعسنا في إعلان التضامن معه، وإذا لم يسامحونا ولم يقبلوا اعتذارنا فهم معذورون. لست مخولا من أحد في تقديم اعتذار، لكنى أقدمه نيابة عن نفسي مستشعرا درجة عالية من الحزن والخزي.

جريدة الشروق المصرية 14 / 2 / 2012

ماري عجمي (1888 - 1965)

■ ياسر مرزوق

ولدت ماري عجمي في دمشق في 14 أيار عام 1888 وهي ابنة عبده يوسف عجمي من طائفة الروم الأرثوذوكس، أصلها من حماة، انتقل جدها الأعلى اليان الحموي إلى دمشق في القرن الثامن عشر ورحل جدها يوسف عن دمشق في تجارة الحلي إلى بلاد العجم، فقيل له العجمي، وتفرع نسله فيها ثلاث أسر، عبد النور، صروف، والعجمي، أما والدها فكان أحد أعضاء المجلس الملي الأرثوذكسي، ووكيل الكنيسة الكاتدرائية، وكان محباً للعلم والأدب.

درست في دمشق في المدرسة الإيرلندية وهي ابنة خمس سنوات، ثم في المدرسة الروسية إلى سن الخامسة عشرة، ثم درست التمريض في الجامعة الأمريكية في بيروت عام 1906، مارست تعليم اللغة العربية في مدرسة الفرنسيسكان لمدة أربع سنوات، وكان من تلامذتها الأديبة السورية سلمى الحفار الكزبري، انتقلت عام 1909 إلى الاسكندرية حيث عينت نظيرة لمدرسة الأقباط، وبقيت عاماً واحداً عادت بعدها إلى دمشق لتؤسس لمجلة العروس عام 1910.

عام 1915 التقت بالمناضل بترو باولي، الذي تواعدت معه على الزواج بعد أن جمعت بينهما روح النضال والكفاح ومحاربة الظلم والاستبداد التركي، إلا أن خطيبها اعتقل من قبل الأتراك ثم سجن وأعدم مع من أعدم من الشهداء الذي حكم عليهم جمال باشا السفاح عام 1915 بالموت، مما سبب لها حزناً شديداً واتخذت قراراً بالعزوف عن الزواج.

كانت عجمي الصحفية الوحيدة التي تسنى لها أن تدخل السجون في دمشق زمن الحكم العثماني وتتطلع على ما فيها من فساد وقهر، نقلاً عن الباحث عيسى فتوح من مقاله "شاعرة دمشق": "رشت ماري عجمي الخفير أكثر من مرة ليسمح لها رؤية من تشاء فكان يحضره إلى البهو في سجن جامع المعلق، وهو جامع أثري قديم يجري تحت ردهته الرحبة أحد فروع نهر بردى، وكانت ردهته تضم 420 سجيناً من كل طبقات الأمة".

متحديةً بشكل مزدوج للظلم والجهل والاستعمار أسست العجمي مجلة العروس، التي استمرت بالصدور حتى عام 1914 حين اشتعلت الحرب العالمية الأولى فاضطرت ماري لإغلاقها لمدة أربع سنوات، ثم عادت إلى إصدارها عام 1918 لتستمر حتى عام 1925، وكانت عجمي قبل إنشاء العروس قد دأبت على مراسلة كبرى الصحف والمجلات كالمقتبس في دمشق والمهذب في زحلة والإخاء في حماة والحسناء ولسان الحال في بيروت، كما كتبت الشعر والقصة وترجمت عن الإنكليزية رواية "المجدلية الحسناء" الصادرة عام 1913 وكذلك كتاب "أمجد الغايات" عام 1927 .

جذبت مجلة العروس كبار الأدباء (إيليا أبو ماضي، ميخائيل نعيمة، رشيد سليم الخوري، الأخطل الصغير، بدوي الجبل، حافظ ابراهيم، المازني، شفيق جبري، الياس أبو شبكة، جبران، والرصافي"، عام 1926 وبعد ما توقفت العروس كان قد صدر منها إحدى عشر مجلداً في 6900 صفحة.

عام 1920 أنشأت العجمي النادي النسائي الأدبي وجمعية نور الفيحاء بالاشتراك مع السيدة نازك العابد كما أسست مدرسة لبنات الشهداء وساهمت بتأسيس الرابطة الأدبية.

في العشرينيات والثلاثينيات أسهمت بالمراسلة في تحرير مجلة "الإصلاح" في بيونس آيرس، ومجلتي "العروسة" و"الأحرار المصورة" المصريتين.

عام 1940 عينت أستاذةً للأدب العربي في بغداد ولم تمكث هناك أكثر من سنة وفي عام 1946 فازت بالجائزة الأولى بمسابقة شعرية أقامتها إذاعة لندن عن قصيدتها "الفلاح"، كما كانت أول امرأة تدعى لإلقاء محاضرة في المجمع العلمي في دمشق (مجمع اللغة العربية لاحقاً).

عانت عجمي خلال الاستعمار الفرنسي ما عانته خلال الاستعمار التركي، فقد حاول الفرنسيون إقناعها بالكف عن مهاجمتهم في مجلة العروس وسواها مقابل مبالغ ضخمة من المال تدفع لها لم يكن رد ماري إلا الرفض وظلت على مقاومتها للفرنسيين حتى عام 1946 عام الجلاء.

عندما انحل عقد الرابطة الأدبية استأنف أعضاء الرابطة لقاءاتهم في منزل عجمي في حي باب توما في دمشق، واستمر هذا الصالون الأدبي فاعلاً حتى الخمسينيات.

توفاها الله في دمشق في 25 كانون الأول عام 1965 عن سبع وسبعين عاماً بعد أن عاشت آخر أيامها في عزلة وبؤس بسبب المرض ولم يشارك في جنازتها سوى نفر من المخلصين لها مشوا وراءها إلى مثواها الأخير في مقبرة باب شرقي في دمشق، ويصف لنا عيسى فتوح ذلك فيقول: "ماتت ماري عجمي من دون ضجيج أو جلبة، حتى أنه لم يرافقها إلى مثواها الأخير سوى ستة عشر شخصاً من أقربائها ليس بينهم أديب إلا فؤاد الشايب".

وننقل عن "رئيف خوري" في كلمة ألقاها في مهرجان تأبينها: "ندرت حياتها للأدب حتى ليمكن القول إنها راهبة الأدب ولم تكن عروساً لغير القلم".

قال عنها الأمير مصطفى الشهابي: "إن ماري العجمي من أكتب كتاب العربية وكاتباتها".

كما قال عنها الشاعر أمين نخلة: "لا أعرف من الأقلام النسوية قلماً كالذي تحمله ماري عجمي، فهو شديد شدة أقلام الرجال، لطيف لطف أقلام النساء في آنٍ معاً، ولعمرك هيهات أن يجتمع النساء والرجال على نغمةٍ واحدة، واجتماعهم كان في أدب ماري عجمي".

وعن خليل مردم بيك ننقل: "جمعت ماري بين الصناعتين النثر والنظم، فلها المقالات والخطب والقصائد وعالجت الترجمة كما عالجت الإنشاء بمنتهى الجدارة".

ونقلاً عن عبد الغني العطري عن كتابه "عبقريات شامية": "أبت عجمي إلا أن تكون المشعل الذي يبدد الظلام ويثور على الظلم والرائدة التي تقرع طبول الثورة وتدعو الآخرين للالتحاق بها وحمل الراية معها لدك صروح الجهل وإيقاظ الغافلين والمطالبة بالحقوق المهضومة من قبل الأجنبي الغاصب".

ونقلاً عن وداد السكاكيني: "كان الفرزدق إذا سمع شعر الخنساء قال تلك أنثى غلبت فحول الشعراء، وفي زماننا لو يسأل فحول الأدب عن ماري عجمي لأعادوا قول الفرزدق في الخنساء".

وصفها إيليا أبو ماضي بالقول: "بنت سوريا التي أبكي لها همة الليث وروح الحمل".

وسئل الزعيم والعلامة السياسي فارس بيك الخوري أيهما أشعر، مي أم ماري؟ فقال: "يا أهل العبقرية سجلوا هذه الشهادة إن ماري العجمية هي مي وزيادة".

ونختم بما يروى بأن عجمي عندما سمعت نبأ وفاة أمير الشعراء أحمد شوقي كتبت في قصيدةٍ أنشدتها أمام الشاعر اللبناني أمين نخلة مطلعها: "هزوا الغصون لعله نائم " فقال لها أعطني إياها وخذي من شعري ما شئتِ"، وعند رثائه لها في حفل تأبينها قال: "ما لهم لا يهزون الغصون لعلها نائمة ، ما لهم لا يرون في يومها ما رأته في يوم شوقي".

الجمهورية العربية المتحدة

الوحدة بين سوريا ومصر 1958-1961

■ حنين اليوسف

كانت الوحدة السورية المصرية حلماً للشعبين السوري والمصري ولرئيسيهما السوري شكري القوتلي والمصري جمال عبد الناصر. أعلنت الوحدة في 22 شباط 1958 وكان عبد الناصر رئيساً للجمهورية الجديدة والقاهرة عاصمة لها.

كان لهذه الوحدة أسباباً وعوامل عدة منها عوامل خارجية وأخرى داخلية، فمع خريف عام 1955 اشتدت الدعوة لحلف بغداد وبدأت العراق وتركيا تمارسان ضغطاً عنيفاً على سوريا للدخول في هذا الحلف. و لكن الوعي الشعبي والجيش السوري وبعض الأحزاب التقدمية تصدوا للتأثيرات والضغوط العنيفة وإن لم يزيلوا تأثيرها تماماً.

أمام ضغط حلف بغداد على سوريا جرت في أيلول 1955 مفاوضات بين مصر وسوريا أدت الى توقيع ميثاق دفاع عسكري مشترك بين الدولتين ينص على رفض البلدين الانضمام الى الحلف العراقي التركي، والحث على التعاون الاقتصادي العربي المشترك. ثم أقام البلدان في 22 تشرين الأول من العام ذاته ميثاقاً عسكرياً للدفاع المشترك يقضي بتوثيق التعاون العسكري حرصاً على استقلال الدولتين وسلامتهما وإنشاء قيادة عسكرية موحدة يكون مركزها في دمشق.

بعد اندلاع معركة سيناء في تشرين الأول من العام 1956 ووقوع العدوان الثلاثي على مصر أعلنت الحكومة السورية حالة الطوارئ في أراضيها واتجهت وحدات من قواتها للمرابطة في الأردن بعدما عطلت خط الأنابيب الناقلة للبترول العراقي إلى الساحل اللبناني (وقد اضطرت هذه الوحدة للانسحاب من الأردن في نيسان 1957 لأن القوات الأميركية هددت بالتدخل ضدها).

بالإضافة إلى ميثاق الدفاع العسكري المشترك المذكور عقد بين مصر وسوريا بتاريخ 29 كانون الثاني 1956 ميثاق تعاون اقتصادي جاء في مادته الأولى "يبذل كل من الطرفين المتعاقدين ما في وسعه للوصول بالعلاقات التجارية بين بلديهما الى أقصى حد مستطاع وفقاً لأحكام هذا الاتفاق وفي حدود النظم الاقتصادية القائمة في كلا البلدين".

وبعد اتفاقية الدفاع المشترك، قامت مفاوضات بين مصر وسوريا والاردن من أجل "توحيد وسائل الدفاع في الجبهة العربية" انتهت بتوقيع اتفاقية عسكرية ثلاثية بتاريخ 23 تشرين الأول 1956. وكخطوة جديدة باتجاه توحيد سورية ومصر عقد البلدان اتفاقية لتوحيد قيادة الجيشين في البلدين. أهم ما نصت عليه:

"- توحيد الجيشين المصري والسوري في التسليح والتدريب وفي مواجهة أي خطر طارئ.

- ارسال الضباط والخبراء المصريين وعلى وجه السرعة إلى سوريا للاسراع في تدريب القوات السورية على الأسلحة المصرية.

- انفاذ الامدادات العسكرية من القوات المصرية الضاربة لتعزيز المقدرة الدفاعية للجيش السوري في معركة التهديدات الموجهة الى سوريا والممثلة في الحشود التركية والصهيونية."

لم تكن الضغوطات الخارجية التي تعرضت لها سوريا في الخمسينيات هي السبب الوحيد في لجوئها للوحدة بل إن هناك أيضاً أسباباً داخلية تتجلى في الظروف الموجودة داخل سوريا واضطراب الأوضاع فيها بسبب سياسات البعثيين التسلطية التي جعلت الشعب يريد التخلص منهم عن طريق الاندماج مع مصر.

في 18 تشرين الأول 1957 اجتمع مجلسا النواب السوري والمصري في جلسة مشتركة وأصدرا بياناً فيه دعوة إلى الحكومتين للاجتماع وتقرير الاتحاد بين الدولتين. وفعلاً هذا ما جرى حيث اجتمع رئيسا البلدين وأركان حكومتيهما وأصدروا بياناً في 22 شباط 1958 أعلنوا فيه توحيد القطرين العربيين في دولة واحدة سميت "الجمهورية العربية المتحدة" على أن يكون نظامها رئاسياً ديموقراطياً. وعليه جرى استفتاء شعبي على الوحدة وانتخب جمال عبد الناصر ليكون رئيساً للجمهورية

العربية المتحدة. ولا يمكننا هنا إلى أن ننظر إلى الرئيس شكري القوتلي بعين الاحترام لأنه تنازل عن رئاسته لسوريا لجمال عبد الناصر لما رأى في هذا من خير لبلده وتحقيقاً لصالح شعبه ورغبتهم في الوحدة. لقد كانت الوحدة العربية حلماً في حياة القوتلي يسعى لتحقيقه بكل جهده مقدماً كل ما يحتاجه الأمر من تضحيات. قال شكري القوتلي لشعبه "إن البلاد السورية تأبى أن يرتفع في سمائها لواء يعلو على لوائها إلا لواء واحد وهو لواء الوحدة العربية".

في 24 شباط 1958 بعدما تسلّم جمال عبد الناصر رئاسة الجمهورية العربية المتحدة سافر إلى سوريا وخطب بشعبها "أيها المواطنون السلام عليكم ورحمة اللّه، إنني أشعر الآن وأنا بينكم بأسعد لحظة في حياتي، فقد كنت دائما أنظر إلى دمشق وإليكم وإلى سوريا وأترقب اليوم الذي أقابلكم فيه، واليوم أزور سوريا قلب العروبة النابض، سوريا التي حملت دائما راية القومية العربية، سوريا التي كانت دائما تنادي بالقومية العربية، سوريا التي كانت دائما تتفاعل من عميق القلب مع العرب في كل مكان. واليوم - أيها الإخوة المواطنون - حقق اللّه هذا الأمل وهذا الترقب وها أنا ألتقي معكم في هذا اليوم الخالد، بعد أن تحققت الجمهورية العربية المتحدة".

في 5 آذار 1958 تم وضع دستور جديد للجمهورية العربية المتحدة أعطى السلطة التشريعية لمجلس الأمة المكون من نواب يعين رئيس الجمهورية نصفهم والنصف الآخر يختاره من بين أعضاء مجلس النواب السابقين في سوريا ومصر. أما السلطة التنفيذية فتولاها رئيس الجمهورية بمعاونة نواب الرئيس الوزراء الذين يعينهم ويقيلهم بنفسه، وهم مسؤولون أمامه. لقد وجد أيضاً إلى جانب الحكومة المركزية في الجمهورية العربية المتحدة مجلسان تنفيذيان إقليميان سوري ومصري يرأس كل منهما وزير مركزي.

لم تستمر الوحدة بين سوريا ومصر إلا لفترة وجيزة حيث وقع الانفصال في 28 أيلول 1961، بتدبير عسكري قام به عدد من ضباط الجيش السوري بتخطيط من العقيد عبد الكريم النحلاوي مدير مكتب المشير عبد الحكيم عامر حاكم سوريا، وقد اتبع النحلاوي أسلوب السرية التامة في حركته، وهكذا انفصمت عرى هذه الوحدة التي قيل عنها (وحدة ما يغلبها غلاب).وأعلنت سوريا عن قيام الجمهورية العربية السورية، بينما احتفظت مصر باسم الجمهورية العربية المتحدة حتى عام 1971 عندما سميت باسمها الحالي جمهورية مصر العربية.

لقد كان قرار عبد الناصر بإلغاء كل الأحزاب السياسية في سوريا عاملاً أساسياً في جمود الحركة السياسية السورية وسبباً لتذمر عدد كبير من السوريين الذين كانوا يتباهون بالتعددية السياسية. كما أن حركة التأميمات التي أقرها عبد الناصر على البنوك الخاصة والمعامل والشركات الصناعية الكبرى (التي كانت مزدهرة من غزل ونسيج واسمنت) طالت أيضاً أفراد الطبقة الوسطى الذين لم يحصلوا على أموالهم بطريقة سهلة بل كافحوا طوال سنين حياتهم لبناء ثرواتهم الصغيرة الخاصة بهم، فتمت السيطرة على هذه الثروات أثناء حركة التأميم الواسعة آنذاك مما سبب نقمة على هذه الحركة أيضاً. كما أن قدوم عدد كبير من العمال المصريين إلى سوريا أدى إلى اختلال توازن القوى العاملة فيها. كل هذا كان سبباً للانفصال إضافة إلى وجود اسرائيل بين البلدين وإلى وجود الضغوطات الخارجية التي جعلت الوحدة غير مستقرة.

ولكننا مع هذا لا يمكن أن ننسى فضل عهد الوحدة على سوريا فكثير من الانجازات الاقتصادية تمت خلال هذه المرحلة وأهمها بداية مشروع سد الفرات، والذي كان في نظر عبد الناصر موازياً لمشروع السد العالي في أسوان، وكذلك حركة التأميمات الكبيرة، إضافة لحماية سوريا من تهديدات الأحلاف التي كانت تتربص بها والتي كانت السبب الأساسي وراء قيام دولة الوحدة بهذا الشكل كما ذكرنا سابقاً.

لقد جاءت الوحدة المصرية السورية تلبية لرغبات الشعبين المصري والسوري، في إطار الجو الدولي الضاغط، والأحداث التي شهدها الوطن العربي من تأميم قناة السويس، والعدوان الثلاثي على مصر، والحشودات التركية على الحدود السورية وصولاً إلى قيام حلف بغداد بالمؤامرات.

الجمهورية العربية المتحدة

برلمان واحد - نظام ديمقراطي رياسي

رئيس الجمهورية الجديدة يعين الوزراء ويكونون مسئولين أمامه

أمريكا تطلق قمرا يزاحم القمر الروسي في السماء

مولد الجمهورية العربية المتحدة

هاني السيد

أنا مواطن سوري و دستوري حتى إسقاط النظام هو التالي: مادة ١: الشعب السوري ما بنذل. مادة ٢: خاين يللي بيقتل شعبه مادة ٣: واحد، واحد، واحد الشعب السوري واحد مادة ٤: الشعب يريد إسقاط النظام مادة ٥: حرية للأبد مادة ٦: الثورة مستمرة و يللي ما بيشارك ما في ناموس مادة ٧: دولة المستقبل مدنية، ديمقراطية، تضمن كرامة المواطن، المساواة و العدالة الاجتماعية مادة ٨: لا تزر وازرة وزر أخرى. محاكمة كل من كان متورطا بسرقة أموال البلاد و كل من خطط، أو نصح،أو نفذ عمليات القمع الأمني بحق أي مواطن سوري مهما كان مركزهم في تسلسل السلطة ومحاكمة كل من ساهم بإخفاء هذه الجرائم مهما كان مركزهم في تسلسل السلطة.

يامن حسن

ورح أخطبك على صحن فول... اي اي صحن فول ومرقة حدّة... ورح نركض بشارع الخراب عرفتيه هاد قفى الملعب.. أنتي سنية وانا علوي أو أنتي مسيحية وأنا بوذي وطز فيهن كلن.. أنتي قومية وانا شيوعي راديكالي تبع انو تنح كمان طز فيهن كلن ليكي اذا سألوك هو بيرضى اختو تحب واحد من غير ملة.. قليلهون بيقلكم هو ما بيرضى لأنو مانو صاحب قرارها وإنشاالله تحب واحد من السيخ (عرفتيهون؟؟)... وهيك بالمعية اصرخي بوجهن "الشعب يريد إسقاط النظام" مو بس هاد.. لأي نظام رح يجي ويعتقل الأحلام والرغبات والحب.

لويز عبد الكريم

أيمن الظواهري... إذا كان نصر ثورتنا على يدك ويد أمثالك.. لا نريد هذا النصر... إذا كان النصر قادم من عند جهاديي العراق فأرجوكم ابقوا في بلادكم لسنا بحاجة لنصرتكم.. القاعدة تنظيم إرهابي مقيت... التطرف لا يمثل السوريين ولا يشبههم... وكل من يدعو إليه يخدم النظام ويشد أزره..

ريما فليحان

محبتي للشارع الإسلامي الذي عرفته في دمشق... جودت سعيد يمثلني... حنان اللحام تمثلني... كريم راجح يمثلني.. سارية الرفاعي يمثلني.. أسامة الرفاعي يمثلني... هؤلاء يمثلون الشارع الإسلامي في سوريا... هؤلاء أحبائنا ونحن شركائهم في الوطن... أما المتطرفين فأرجوكم لا تقحموا أنوفكم في ثورتنا لسنا بحاجتكم...

عبد الله أبا زيد

باختصار: نحنُ شعبٌ من " الشُهداء ".

روزا ياسين حسن

بملاحم مشابهة لمظاهرة المزة اليوم نقترب من إسقاط الطغاة سريعا..
بجهودنا السلمية، لا بتدخل عسكري من أحد ولا بتسليح للثورة..
طوبى لثوار وثائرات الثلج اليوم.. طوبى لشجعان سوريا..

مؤيد سكاف

قلبي ملىء بجثث الذين أحبهم.. يا أحبتي.. كفى.. لا تموتوا كثيرا

أحمد بقدونس

الثورة هي من صنعتنا وليس نحن من صنعناها

جمال داوود

جميع الطرق مسدودة من و إلى المزة شيخ سعد.. الثورة تمر من هناك.. نحن نعمل من أجلكم

ميخائيل سعد

هل تعلم أن كل متظاهر في سوريا هو بطل إلى أن يثبت العكس

إياد حياتلة

لطالما اشتهرت المزّة بثلاث
صبّارتها وسجنها ومطارها
والآن أيضا اشتهرت بثلاث
ثورتها
وثورتها
وثورتها

عروة نيربية

الدستور السخيف الجديد يقول ان النظام قد سقط. أن كل القتل الجاري اليوم ليس دفاعا عن النظام كما كان يُرى، بل هو دفاع عن حقيقته، تلك التي لا تريد أن تتغير. استمرار السلوك الإجرامي هو برهان أن أي دستور جديد، تحت «سقف النظام» لا يحمل أي معنى ولا هو يعني بالفعل أياً من كلماته.

خولة دنيا

ومازال الجيش الوطني يحرر أرضنا من العدوان الغاشم على النظام!!
خبطة قدمهم على الأرض غدارة

هديل كوكي

مَن لم يشرب من بئر الثورة مات عطشاً في بحور العبوديّة

إلزا مطر

من يظن أنه قدم الكثير للثورة.....
فلينظر لصور الشهداء.....

هاني عرقسوسي

هل في بالدستور الجديد, بند يحمي هذا الدستور من "تعديله بتلت ساعة؟

علي ديوب

من يسخرون من أبناء وطنهم، بالقول " هل تصدق أن أهل دوما و سقبا و حموريّة بدهن حرية!!؟"... ؛ عليهم أن يخجلوا، فلا يلوموا العنصريين في الغرب، حين يصفوننا بالشعوب غير القابلة للتحضر: إنها عنصرية واحدة، مهما اختلف لونها، بفارق أن العنصرية في الغرب تخضع لمعايير القوانين، و حقوق الإنسان؛ فيما تغض عنصرية أخوتنا عن الإجرام الذي ينفلت مثل الطاعون في مدننا و أريافنا، ممثلا بالعنصر المتعالي إياه الذي يسكتون عنه- إن لم أقل يمجدوه.

عمر إدلبي

حتى أنت أيها الثلج؟! الثلج يكسو حمص الآن... و الثلج لا ينسى أن يصطحب البرد معه.. و لكنه هذه المرة أتى غير مرغوب به.. الأصوات المرعبة اللئيمة للقصف الذي لا يرحم تكفي لتجعل الوحشة صاحبة... بيوت بلا أبواب و لا سقوف تستر سكانها من حقد يتعمده محترفوه، و موت وحده القادر على التجول.. بيوت بلا نصف أبنائها أو أكثر... و... لا دفء إلا خوفهم على بعضهم و أحلامهم.. و على ثغور الشوارع رجال صدقوا ما عاهدوا الحرية عليه.. يرابطون في العراء... وحيدين إلا من الله... و إرادتهم.. أليس كثيراً كل هذا يا رب؟؟؟ أما آن لهذا الامتحان أن يمل من نفوس أبية تحفظ الحرية و الكبرياء جيداً؟؟ سلام، أيها الشجعان حد الأسطورة... صباحكم حرية يا أحرار سوريا

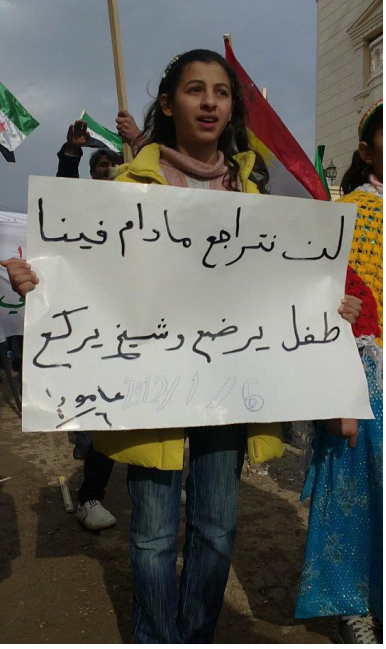

الشام يا صاحبة الفضيلة ، يا حضننا الدافئ.
يا ملهمة شياطين الشعر و الغناء.
و صنّاع العطور.
لا تحزني.
على كتف بردى يبدؤ الزمان و ينتهي.
تحكي جبالك العاليات حكايا البطولة والفداء.
و تروي سهولك قصص المجد للأجيال.
كريمة لم يقصدك زائر إلا و عاد شاكراً ممتنا.
بلاد الخيرات لم يشبع الناس الخبز إلا فوق ترابك.
كلا لن تصبحي لاجئة.
لن تطلبي العون. لن تمدي اليد.
و لن تحني الرأس.
لا تبنوا لها المخيّمات. و لا تتسولوا بإسمها.
فالشام شامة الدنيا ستبقى حضن الغريب.
و سلة المحتاج.
و إن جار عليها الزمان , و تسلّط عليها حاكم مجنون.
فلن يمحي حضارتها و لن يزيل بتجاعيد التعب نضارتها.
يا شامي. يا فتاتي. يا غاليتي.
الروح ترخص لأجلكِ ، فلا تهوني ولا ترخصي.

مصطفى أبازيد

| صدرت في الآونة الأخيرة العديد من مراسيم العفو العام، و منها المرسوم الجمهوري رقم 10 في 15 / 1 / 2012 م، فما هي حقيقتها ؟ ولماذا لم يتقبلها الشارع و المعارضة السورية ؟

| | مراسيم العفو المذكورة كانت محدودة الأثر. كثير من الذين أطلق سراحهم كانوا جنائيين لا علاقة لهم بالحراك المطالب بالحرية والكرامة، وحوت المعلومات الرسمية على قدر كبير من التدليس والخداع. بل إن كثيراً ممن أطلق سراحه أعيد اعتقاله فوراً، وكانت أعداد المعتقلين الذين أعلن عن إطلاق سراحهم في الفترة الأخيرة وهمية أكثر منه حقيقية، وحتى لو كانت الأرقام حقيقية فنسبة المفرج عنهم ضئيلة بالمقارنة مع الأعداد الضخمة من المعتقلين. ولذلك اعتبر الشارع السوري هذه الخطوات غير مقبولة ولا تتوازى مع متطلبات الإصلاح المنشودة.

| ما هي أشهر السجون السورية التي مورس فيها التعذيب و المحاكمات غير الشرعية في العقود الأخيرة ؟

| | اشتهرت عناية نظام آل الأسد بالسجون أكثر من اهتمامهم بالحركة العلمية والثقافية وبناء صروح المعرفة، وكان مجرد ذكر أسماء بعض المناطق التي عرفت بسجونها يثير الذعر والذكريات المؤلمة لدى عموم السوريين، فتدمر ومملكتها وحضارتها العريقة اختصرت بسجن تدمر، وصيدنايا بكنسيتها وديرها التاريخيين تشوها بالسجن الضخم الذي شيده الأسد الأب في أواسط الثمانينات، وشوه النظام صورة فلسطين في وعي المواطن السوري بسجن الرعب المسمى: فرع فلسطين للتحقيق العسكري بدمشق. أضف إلى ذلك سجون المزة والقلعة وكفر سوسة والشيخ حسن وفروع المخابرات والأمن المركزية في المحافظات وسجونها التي تعد بالعشرات ... لقد صرح وزير الدفاع الأسبق مصطفى طلاس لمجلة ديرشبيجل الأسبوعية الألمانية عام 2004 أنه كان يوقع باعتباره نائب الحاكم العرفي على قوائم إعدام إسلاميين يتراوح عددهم بين 100-150 كل أسبوع وأن هذا الأمر قد استمر لسنوات طويلة، وهذا يفسر لنا العدد الضخم من المختفين في السجون من معتقلي الثمانينات الذين قضوا تحت التعذيب أو في وجبات الإعدام الجماعي، وصمت العالم عن هذه الخروقات الخطيرة والجرائم الإنسانية الجسيمة، وكانت محكمة أمن الدولة تصدر أحكاماً بالجملة، ومن قبلها المحاكم الميدانية التي لم يستغرق مثول المعتقل أمامها والحكم عليه بالموت أكثر من دقائق معدودة.

| طرح بعض الناشطين فكرة تحويل سجن تدمر الصحراوي إلى متحف و أن يقام أمامه نصب عملاق يحوي أسماء الذين قتلوا داخله، حتى لا تتكرر المأساة.. فما رأيكم بذلك ؟

| | كنا نظن أن ملف سجن تدمر قد طوى بعد إغلاق القسم السياسي فيه عام 2001 عندما نقل نزلاؤه إلى سجن صيدنايا، ولكن الأحداث الأخيرة أثبتت فشل كل دعايات الإصلاح التي طرحها بشار الأسد، ولقد التقيت مؤخراً بمواطن سوري احتجز لمجرد تشابه الاسم لمدة أربعة شهور في الباحة السادسة بسجن تدمر وقال أن الباحة تضم مهاجع تتسع لأكثر من ثلاثة آلاف معتقل الأمر الذي يوحي أن سجن تدمر الصحراوي الذي ارتكبت فيه في يوم من الأيام وادية من أفظع المجازر في تاريخ البشرية وظل نزيف الدم مستمراً فيه لأكثر من 20 عاماً مفتوحاً اليوم على مصراعيه وفيه حسب أقل التقديرات 20000 معتقلاً. ولقد روى المعتقل قصصاً لا تقل سوءاً عن تلك التي كان يعامل بها معتقلو الثمانينات.

أنني أقترح بعد خلاص شعبنا من حكم السجون وزنازين المخابرات أن تنشر ثقافة احترام القانون وحقوق الآدميين وفق منظومة العدالة العريقة التي تعرفها حضارتنا المشرقة ووفق الإضافات النافعة للحضارات التالية لها، وأقترح أن يكون سجن القلعة -مثلا- بموجب موقعه المتميز في قلب العاصمة متحفاً تعرض فيه أدوات وأساليب وطرق التعذيب الهمجية التي استخدمت في الحقبة الأسدية المظلمة، وأن يكون هناك نصباً معبراً أمام كل مكان اتخذ لامتهان حرية الإنسان وكرامته ليذكر بقيمة الضحايا الأبرياء ويعلي من قيمة الكرامة البشرية.

السؤال والجواب: حوار مع وليد سفور / رئيس اللجنة السورية لحقوق الإنسان | مجلة المجتمع الكويتية الأسبوعية

اختلال العالم... حضاراتنا المتهافتة

■ ياسر مرزوق

عن أمين معلوف في قراءته للربيع العربي في مقابلة مع صحيفة فرنسية ننقل: "يمكن أن أقول أنني لم أشعر بالفخر والاعتزاز مرة في حياتي كما شعرت مع بداية هذه السنة".

"إنها ولادة عالم عربيّ جديد له مكانته في العالم، وسيكون له دوره بين الأمم، كنا في غيبوبة واستفقنا، وبدأ العالم العربي عطاءه للإنسانية".

اختلال العالم كتاب للروائي اللبناني الفرنكوفوني المعروف، والحائز على جائزة "غونكور" الفرنسية، والكتاب ليس رواية بل تكملة لبحث أصدره معلوف عام 1998 بعنوان "الهويات القاتلة" والذي بات يدرس في جامعات عالمية كثيرة.

الكتاب تساؤلٌ واضح "هل بلغت البشرية عتبة إفلاسها الأخلاقي؟ ففي مطلع القرن الواحد والعشرين تظهر على العالم علامات اختلال عديد، اختلال فكري يتميز بانفلات المطالبات المتعلقة بالهويات من عقالها، مما يجعل من العسير استتباب أي تعايش متناغم أو نقاش حقيقي، وكذلك اختلال اقتصادي ومالي يجر الكوكب بأسره إلى منطقة من الاضطرابات يتعذر التكهن بنتائجها، ويجسد بحدّ ذاته عوارض اضطراب في نظامنا القيمي، وأخيراً اختلال مناخي ناجم عن فترة طويلة من الممارسات غير المسؤولة".

في هذا الكتاب يسعى معلوف إلى فهم أسباب بلوغنا هذا الدرك وكيفية الخروج منه، إن اختلال العالم في نظره مرتبط بحالة الإنهاك المتزامنة للحضارات كافة وبخاصة المجموعتين الثقافيتين التي يدعي معلوف نفسه الانتماء إليهما، الغرب والعالم العربي، المجموعة الأولى تعتريها قلة وفائها لقيمها الخاصة أما الثانية فواقعة في شرنقة مأزقها التاريخي، إنه تشخيص مثير للقلق، غير أنه يفضي إلى بارقة أمل، فالفترة العاصفة التي دخلناها قد تقودنا إلى صوغ رؤية ناضجة في النهاية حول انتماءاتنا ومعتقداتنا وتباياتنا وكذلك حول مصير الكوكب الذي يعنينا جميعا.

إن الفرضية أو القضية الرئيسية في كتابنا هذا مفادها أن اختلال أو عدم انتظام العالم ليس سببه بالدرجة الأولى صراع الحضارات بل مشكلة فراغ الحضارات من محتواها، فاختلال العلاقة بين الشرق والغرب ليست سوى أحد عناصر اختلال النظام العالمي الأشمل الذي يتطلب أن تجتمع الإنسانية كافة لتواجه الإلحاحات والحاجات الطارئة فيه من بينها مثلا الاضطرابات المناخية التي تهدد الشعوب كافة "إن هذه السنوات الأولى من القرن الواحد والعشرين تؤشر على علامات عدة للخلل العالمي من بينها الخلل الفكري الشمولي الذي يجعل أي تعايش بين الثقافات وأي حوار بين الحضارات مستحيلا".

يشير معلوف في البداية إلى أن سقوط جدار برلين منحنا الأمل في ولادة عالم جديد، وأن نهاية المواجهة بين الغرب الرأسمالي والاتحاد السوفييتي الشيوعي أزالت التهديد النووي الذي مسلطاً فوق رؤوسنا منذ أربعين عاماً ومنحنا الشعور بأن الديمقراطية لن تلبث أن تنتشر في أنحاء المعمورة لكن بسرعة تبين لنا أن الأمور كانت على خطأ.

يتوقف معلوف مطولاً عند أسباب الانهيارات المالية الحضارية الثقافية الإيديولوجية الجيوسياسية البيئية والمناخية التي نعيشها وفي الكتاب يتوسع في الحديث عن الأزمة المالية ومسبباتها وعن ما يسميه النظرة المتطرفة التي سادت منذ الثمانينيات القرن الماضي والتي تقول أنه يجب التخلص من كل ما يحد من حرية السوق، وتجاهلت الجانب الاجتماعي في الاقتصاد بما سمي الليبرالية المتوحشة، ويعتبر أن إطلاق الرأسمالية دون ضوابط سوى قانون المنافسة وآليات السوق أوصل إلى هذه الكوارث وإلى انهيار مصارف كبرى في العالم عمرها عشرات بل مئات السنين، ففي الوقت الذي تتطلب فيه هذه الأخطار تكاتفاً شاملاً تجبرنا بنياتنا السياسية والقضائية والذهنية على التفكير والتحرك وفقاً لمصالحنا الخاصة وفي هذا السياق يرى معلوف أننا لم نعرف سابقاً حقبة مثل حقبتنا الحالية يبدو فيها أرباب الاقتصاد القومي غير قادرين على متابعة تركيبات أرباب المال البهلوانية ويظهر فيها المضاربون ببلايين الدولارات بحالة جهل تام للاقتصاد السياسي وفي ذهنية غير مبالية بنتائج أفعالهم على المؤسسات وعلى العمال وأهلهم وأصدقائهم، فحين تصبح عملية كسب المال مفصولة عن أي مجهود فكري أو مادي، وعن أي نشاط اجتماعيّ مفيد، وحين تتحول البورصات إلى كازينوهات عملاقة يتقرر فيها مصير مئات الملايين من الناس الأغنياء والفقراء بضربة نرد وحين تتصرف المؤسسات المالية مثل أولاد فاسدين وثملين وحين يتم سحق اقتصاد أعوام طويلة من الكد ببضع ثوان وبوسائل باطنية لا يفهمها حتى المصرفيون أنفسهم نكون أمام خلل تتخطى نتائجه الميدان المالي والاقتصادي ويصبح أزمةً أخلاقية لا سبيل للخروج منها وفقاً لمعلوف إلا بتبني نسق قيميّ جديد، تمنح فيه الثقافة والتعليم دوراً رائداً لمساعدتنا على الخروج من أزمتنا الخطيرة، فالحل الوحيد لعدم استهلاك مواردنا الطبيعية هو بالنسبة لمعلوف تفصيل أشكال أخرى من الرضا ومصادر أخرى من المتعة ككسب العلم وتطوير حياة داخلية زاخرة.

كما يخشى معلوف على مصير الحرية المهدد بالعنف واليأس والعنصرية وذلك على الرغم من الإنجازات الكبيرة التي حققها الإنسان ليصل إلى ما وصل إليه في مجالات الحرية والديمقراطية واحترام حقوق الإنسان، ويتطرق الكاتب إلى ظاهرة سياسية مقلقة أطلق عليها اسم الشرعيات الضائعة، منطلقاً من الأصوات القليلة التي أعيد فرزها في فلوريدا عام 2000 وكرست فوز بوش بالرئاسة في الولايات المتحدة وما ترتب عن فوزه من تحولات دولية كبيرة فهل من المنطق أن يترك لبضعة أصوات من الناخبين في فلوريدا حق تقرير مصير العالم؟

ويتحدث طويلاً عن التجارب السياسية التي مر بها العرب في النصف الثاني من القرن العشرين لا سيما المد القومي العربي والناصرية والبعث واليسار والمقاومة وفشلها في التغلب على التحدي الإسرائيلي ليخلص إلى القول بأن ذلك مهد لصعود التيارات والدعوات الدينية الإسلامية السياسية المعادية للغرب، كما يتطرق إلى الطائفية ويرى أنها تشكل نفياً لفكرة المواطنة، وأنه لا يمكن بناء نظام سياسيّ حضاري يقوم على أساسها فإقامة نظام حصص يجعل من الأمة قبائل متناحرة وهذا ما يجري في لبنان، كما يتوقف عند مسألة الأقليات وهذه المسألة عنده مع قضية المرأة تشكل أحد أبرز مؤشرات التقدم الأخلاقي أو العودة إلى الوراء.

ويرى أن الخلاص ليس في العودة إلى القيم القديمة أو التقليدية بل في اختراع قيم جديدة وبناء مستقبل جديد يقوم على نوع من العلاقات الجديدة بين الدول وعلى إدارة جديدة لموارد وخيرات وثروات الكرة الأرضية وعلى قيم مشتركة بين الشعوب والثقافات، فالقيم التي يمكنها أن تجمع بين البشر لا أن تفرقهم وتضادهم هي في نظره القيم الثقافية.

يضيق المجال هنا للإحاطة بالمواضيع كافة التي تناولها معلوف في مؤلفه الثري فمن التجربة الصينية مروراً بواقع الغرب قبل تفجيرات الحادي عشر من أيلول، وبعدها مروراً بغزو العراق ومصير الأقليات، وإيران وتركيا، الشيعة والسنة، سوريا، حزب الله، لبنان، القذافي، صدام حسين، فهذا الكتاب سفرٌ غنيٌ بالرؤى والأفكار والمعلومات يتنقل معلوف فيه برشاقة من المنائيين إلى روما القديمة إلى الخلافة الأموية والعباسية إشكاليات الحضارة والنسق القيمي الأخلاقي الحاكم للمجتمع، مع أن المواضيع التي تطرق إليها معلوف عولجت من جانب مؤلفين كثر إلا أن الصيغة الفريدة والجامعة التي خرج بها معلوف تجعل هذا المؤلف رحلة لا بد من خوضها.

اختلال العالم، ترجمة ميشيل كرم، صدر عن دار الفارابي في بيروت عام 2009.

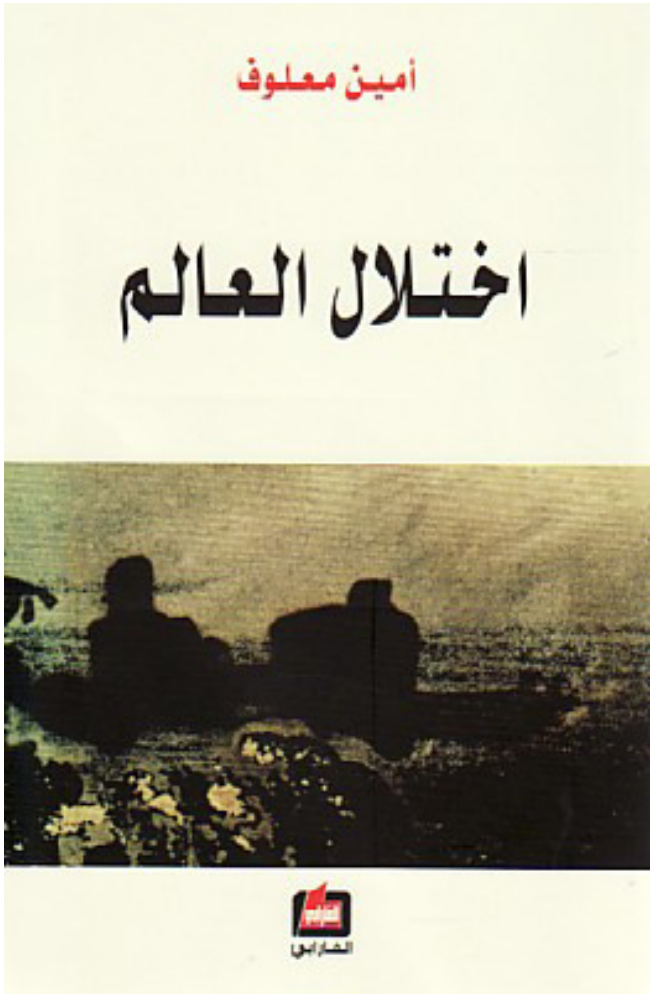

شريعة الحرية فوق شريعة الغاب على مر العصور

■ أحمد بقدونس

أيها الصامتون...الدم السوري نبوءة ماردة لطالما حققت شريعة الحرية فوق شريعة الغاب على مر العصور

أيها المثقفون الصامتون... إن كنتم تظنون أن نداءات الحرية ستقف... وهتافات الكرامة لسوريا سترتجف فأبشركم... المعجزات لا تسقط .. فالدم السوري ذو نبوءة ماردة... لطالما حققت شريعتها فوق شريعة الغاب على مر العصور... ومهما حاولتم الحياد واللعب على المفردات...فاحتلال النفوس لا يمكن أن يكون تحريرا

أنتم تدركون أن رماديتكم أصبحت غير قادرة على التنفس... تتهاوى وتختنق شيئا فشيئا... تذعرون وتبكون... تيئسون وتبحثون عن حلول بائسة... وبياض الرهانات على إرادة الشعب تزحف على أعناقكم محسومة بقتل رواياتكم بدقة لا متناهية... ثقافة الاستبداد والتعتيم واللعب على أوتار السيادة الوطنية لتبرير الدم أصبحت غير قادرة على فرض حضورها على مشاهد الزيف الغائبة أصلا عن قلوب الناس

أيها المثقف الرافض المنزوي المتأمل العاض على أصابعه... والاخر المنزلق في المتاهة الاعلامية السورية الداعي لها والراقص على ايقاعتها النشاز.. او القابع في سوداويته الوطنية حد النخاع الغارق في هلاميات الادعاءات...ألم ترجف أوصالكم من نداءات الحرية... كيف تواجهون وعي ضمائر أطفالكم حين تنضح وتفهم مواقفكم... مواقف شريحة يفترض بوعيها أن يكون كونيا... عقلها مؤنثا بالجمال... قلبها مشربا بحس الوطنية... فأين قلوبكم وضمائركم عند الانحياز لفساد يسرق الدم من أحضان أبنائنا؟ يسرق الأحلام ويقهرها بالرصاص... يعتقل حتى الهتاف أتظنون ان روايات الحس الوطني ستبقى طويلة حتى عند عامة من يسمعكم؟ انها أغبرة الحيرة لا غير وسود النفوس...ستأخذ وقتها حتى تنزاح وتنجلي.. ويذهب الانبهار بشخصياتكم اللامعة.. وسيصبح الفساد حينها واقعا خارج الواقع... وحصانا لا يراهن عليه... حينها فقط ستكون سوريا في زمن غير زمنها... زمن قابل للوقوف وليس للسقوط في متاهات تأييد القتل والفساد... زمن لا يليق إلا بسوريا التي تأبى أن تحكمها شريعة الغاب... سوريا التي كانت سوريا الشعب قبل سوريا الأسد و المثقفين والأبواق العفنة والنداءات السلطوية

عجلة التغيير تدور حتى في أعمق أعماق ذاكرتكم وسيبقى في التاريخ أنكم تراقصتم على جثة الوطن المذبوح بدل أن تقفوا بجانبه وتنادوا بإسعافه وفك الحصار عنه... وهل الجزء في مدينة لنقول أنها أزمة مدينة يتجزأ في الوطن ليخرج عن الكل

إن تاريخ سوريا كان وسيبقى مشكلة كونية بالنسبة لكم... فما حصلت أي من ادعاءاتكم على أي صدى بعد النهوض... وما حصلت فتن طائفية فيها على مر العصور... فإن لم تعلموا حقائق الثورات في التاريخ فتعلموا... فمن ليس له ماض ليس له حاضر ولن يكون له مستقبل... تاريخ سوريا الذي أخرج للأمم جميعها أمجادا قبل أن تطويها يد الغدر بقمع وقتل... هذا التاريخ الذي يبدو عائقا طبيعيا أمام الاستبداد الحديث.. فمفهوم الحرية والكرامة والعزة لطالما ندهت وأصيبت بخيبات الأمل في تطبيقها على أرض الواقع...الآن بعد أن تطاول على سيادة الأرض وبلغ عنان السماء تريدون لها أن تصمت؟

ألا يؤلمكم دموية كلامكم والسم الذي يقطر في العسل... فهل تقدمون كلامكم قربانا لخوفكم... أم ترمون بدماء إخوانكم أضحية لأسيادكم كي تمطر عليكم كلماتهم بالرضا... ثقافة الصمت أو إمساك العصا في المنتصف او الوقوف حتى انتصار الحصان الرابح.. ثقافة مستعصية مهما روج لها... هي ثقافة كرة الثلج أو الخارجة عن المتن في المصطلح المتعارف عليه... ثقافة (كيف تؤكل الكتف) أصبح طعمها دما...وان كان يحلو لكم استغلال الجماهير للترويج لأنفسكم فالآن أنتم تتجارون بدماء أبنائكم... فهل تريدون أن تكونوا في سباق المداحين أمام الدم؟ أم الخائفين في زمن النطق؟

إن كنتم تتريثون زمن الصمت كي يعلو صوتكم فقد ولى وانقضى وأصبحنا في زمن النطق

أما أنتم يا أشباه الأدباء والكتاب المتطفلون على الأدب والثقافة... فأمثلتكم كثيرة ومتكررة في كل زمن للتغيير... متسارعون لبث الروح في الفساد... ونعي الوطن باسم الخوف... وإعطاء جرعة الإنعاش في حضارة فكرية حرة تريد أن تولد لا أن تموت... فأفكاركم هشة مريضة... وضمائركم ذاوية مرتعشة... والتاريخ لن ينسى أبدا أوسع عملياتكم في الاستخفاف بمشاعر وقلوب ودماء الناس المغلوبين على أمرهم باسم الدفاع عن الوطن فأنتم تضخون في دماء فسادكم دماء أخرى أكثر نتانة هي دماء نفاقكم.... وإن كانت الثورات من أجل الحريات والكرامات... فهي أولا ثورات حرب للتغيير في النفوس... حرب مراجعة الأنفس والضمائر... فمن لم يرد التغيير سيزيحه التغيير إلى ورائه ويبقيه في الخلف مع بقية المتعفنين على أفكارهم المتصلبين على واقعهم لا يرون أن وراء التغيير خيرا... ويرسمون التغيير شرا لخوفهم منه... وما هو التغيير إلا سمة الحضارة والنظرة المستقبلية... رعشة التغيير ترجف أوصالكم... فما زلتم من هواة القاع وتخافون ارتفاع القمم... اشربوا من انتفاعاتكم واسكروا برائحة الدم المعتق لأبناء جيل التغيير... وحين تستفيقون من سكركم ستغرقون في ضمائركم... فالتغير سوط على ظهوركم.. فحاسبوا أنفسكم وأيقظوا ضمائركم... قبل أن تحاسبكم لعنة الدم

سقط القناع عن القناع

موقع ألف

من غير كلام

■ سعاد يوسف

تفصلنا عن دوما المسافة نفسها بين الحرية الجريئة والحرية الخجولة.

أحمل حريتي الخجولة وأطير إلى دوما كلما نادتني لأسمع حكاياتها وأجاهر بحريتي.

قميصي الأسود نفسه، والأعلام التي أحرص بعد كل مظاهرة على غسلها وكويها وطيها حرص العروس على فستان زفافها.

بعد المظاهرة يبدأ وقت الحكايات، حكايات أسمعها أنا وصديقاتي وفي عيوننا يرتسم كل السحر الذي يرتسم في عيون الأطفال عند سماعهم لأساطير الأميرات المتمردات والأمراء الثائرين الذين يصارعون الشر بكل الخير الكائن في العالم.

-"ما حكينالكن عن الصبي أبو ورقة؟" -"مين الصبي أبو ورقة؟؟"

صبي في العاشرة من عمره، ربما كان ابن شهيد أو أخو شهيد، في كل يوم بعد انتهاء المدرسة ينتزع ورقة من دفتره المدرسي، يخبئ حقيبته المدرسية في مكان آمن، ويتجه نحو أحد حواجز الجيش في دوما.

طفل سلاحه ورقة، يشهرها عالياً في وجه الجنود، ويشقها من المنتصف بكل هدوء، طفل اعتاد مع أقرانه لعب "من غير كلام"، يصوغ رغباته بلا كلمات، يرسمها رسما، لعل أولئك الجنود يتجرؤون على ملامسة حلمه بقلب السحر على الساحر والانشقاق ليصبحوا أحرارا كأبيه و أخيه، ويساعدوه على الخلاص والعودة لطفولته الآمنة ليلعب الـ"من غير كلام" مع أبناء وإخوة الشهداء بينما "حماة الديار" يحرسون الأحلام الصغيرة.

شهداء سورية

مجموع الشهداء (8328)

دمشق: 169
ريف دمشق: 803
حمص: 2978
حلب: 226
حماه: 1092
اللاذقية: 373
طرطوس: 173
درعا: 927
دير الزور: 290
الحسكة: 78
القنيطرة: 16
الرقة: 43
ادلب: 1011
السويداء: 50

1765 عدد العسكريين
6546 عدد المدنيين
259 عدد الإناث
7491 عدد الذكور
115 عدد الأطفال الإناث
444 عدد الأطفال الذكور

المصدر: مركز توثيق الانتهاكات في سوريا 18 / 2 / 2012